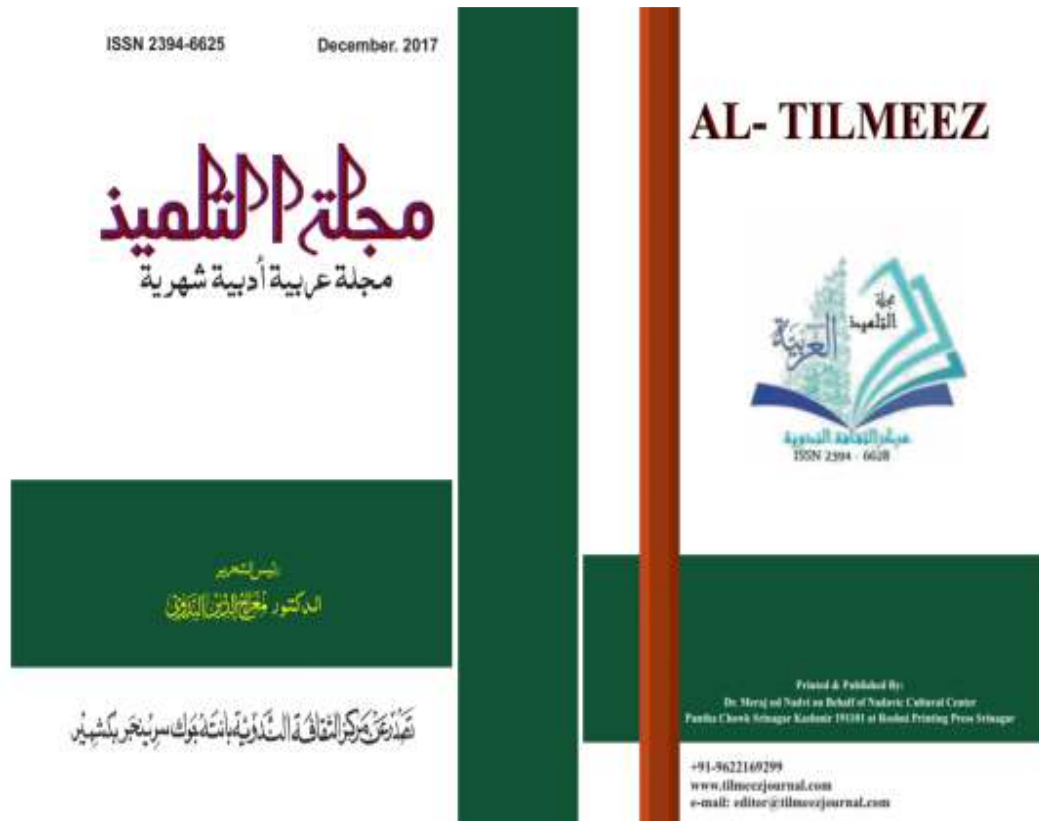




مجلة التلميذ

محتويات العدد

04	الدكتورة نورأفشان	درس من التنزيل.....
09	محمد ربحان القاسمي	أبناء ديوبند ومساهماتهم
16	د. عرفات ظفر	العلامة حميد الدين الفراهي
26	الدكتور سجاد احمد الندوي	نشأة الصحافة العربية في الهند...
34	بشارت أحمد شاهين	زين الدين مخدوم صاحب.....
41	وسيم حسن راجا	دور الجامعات الحكومية في.....
50	السيد محمد امين بخاري	مساهمة علي الطنطاوي في.....
59	محمد علي الخولي	ترميز خانات العقل في فهم.....
73	عبد الحكيم	كتابات الشيخ الندوي في.....
86	د.معراج أحمد معراج الندوي	القصة ودورها في تربية الأطفال

الهيئة الاستشارية

عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية الهند
رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينجر
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر كشمير
المسجل بالجامعة العنقودية سرينجر كشمير
قسم اللغة العربية بالكلية أمسينغ الحكومية سرينجر
المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر كشمير
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر
رئيس مهند اللغة العربية بصورة سرينجر، كشمير
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة
الإسلامية
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة كشمير
الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة
الإسلامية
المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب .
الباحثة و المتخصصة بمجال العلوم التطبيقية و
التكنولوجيا بتونس
الباحث و الأكاديمي بالدوحة قطر
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه
راجوري كشمير
رئيسة قسم اللغة العربية سابقة بالجامعة الإسلامية
للعلوم والتكنولوجيا، كشمير

البروفيسور كفيل أحمد القاسمي
البروفيسور مسعود أنور علوي
البروفيسور صلاح الدين تاك
البروفيسور منظور أحمد خان
البروفيسور محمد يسين شاه
البروفيسور مظفر حسين الندوي
د . تيسير محمد أحمد الزيادات
البروفيسور عبد الرحمن واني
البروفيسور شاد حسين
البروفيسور بيرزاده بشير أحمد
البروفيسور عبد الرحمن وار
الدكتور محمد يوسف خان

الدكتور طارق أحمد أهنكر
الدكتورة تسنيم كوثر

د. زكرياء السرتي المغربي

هناء الجندوبي التونسية

د. قاضي عبدالرشيد الندوي
الدكتور شمس كمال أنجم

الدكتورة عرفاني رحيم

مجلة التلميذ

مجلة عربية أدبية شهرية تصدر
عن مركز الثقافة الندوية بانته
جوك سرينجر كشمير

الرئيس العام

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري

نائب الرئيس العام

الدكتور ريجان اختر القاسمي

مديرة التحرير

الدكتورة نور أفشان

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساهمونه

الدكتور فاروق أحمد مير القاسمي
الدكتور محمد ريجان الندوي
الدكتور عنايت الله واني الندوي
الدكتور محمد ارشاد الحق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الليل

درس من التنزيل:

الدكتورة نورأفشار¹

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4)
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8)
وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15)
الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ
عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)

سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا 21 آيَةً وَتَرْتِيبُهَا بِالْمُصْحَفِ الثَّانِيَةِ وَ التَّسْعُونَ، وَ يَدُورُ مَحُورُ
السُّورَةِ حَوْلَ سَعْيِ الْإِنْسَانِ وَعَمَلِهِ ، وَعَنْ كِفَاحِهِ وَنِصَالِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، ثُمَّ نَهَايَتِهِ إِلَى النَّعِيمِ
أَوْ إِلَى الْجَحِيمِ.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى: يُقْسِمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ حِينَ يُلْفَ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا بِظُلَامِهِ، أَيْ
يُغَطِّي الْخَلِيقَةَ بِظُلَامِهِ فَتَخْلُدُ الْمَخْلُوقَاتُ إِلَى النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ. وَرَوَى سَعِيدٌ
عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ "النُّورَ" وَ"الظُّلْمَةَ"، ثُمَّ مَيَّزَ بَيْنَهُمَا، فَجَعَلَ الظُّلْمَةَ لَيْلًا
أَسْوَدَ مُظْلِمًا، وَالنُّورَ نَهَارًا مُضِيئًا مُبْصِرًا.

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى: وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّهَارِ أَيْ إِذَا انْكَشَفَ وَظَهَرَ، وَبَانَ بِضَوْوِهِ عَنْ ظُلْمَةِ
اللَّيْلِ. وَإِشْرَاقِهِ لِتَتَحَرَّكَ مَخْلُوقَاتُهُ لِطَلَبِ مَعَاشِهَا وَأَرْزَاقِهَا.

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى: ثُمَّ أَقْسَمَ رَبُّنَا اللَّهُ تَعَالَى بِدَايَةِ الْكَرِيمَةِ فَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ الذَّكَرِ
وَالْأُنْثَى مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ. وَفِي الْمُرَادِ بِالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: آدَمُ وَحَوَّاءُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ

¹ المحاضرة المتعاقدة بجامعة كشمير ومديرة التحرير لمجلة التلميذ

وَالْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ. الثَّانِي: يَعْنِي جَمِيعَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَالْبَهَائِمِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ جَمِيعَهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى مِنْ نَوْعِهِمْ. وَقِيلَ: كُلُّ ذَكَرٍ وَأُنْثَى مِنَ الْأَدَمِيِّينَ دُونَ الْبَهَائِمِ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِوِلَايَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.²

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى: هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ. وَالْمَعْنَى: إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ. وَقَدْ أَقْسَمَ رَبُّنَا الْكَرِيمُ الْغَفُورُ بِمَا سَبَقَ عَلَى أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مُتَخَالِفَةٌ، مُتَفَرِّقٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، بَعْضُهَا ضَالَالٌ وَعَمَايَةٌ، وَبَعْضُهَا هُدًى وَنُورٌ. وَقِيلَ: لَشَتَّى أَيُّ لَمُتَنَوِّعٌ وَمَتَعَدِّدُ الْجَزَاءِ، فَمِنْكُمْ مُثَابٌ بِالْجَنَّةِ، وَمُعَذِّبٌ بِالنَّارِ. وَقِيلَ: أَيُّ لَمُخْتَلِفٌ الْأَخْلَاقِ، فَمِنْكُمْ رَاحِمٌ وَقَاسٍ، صَادِقٌ وَكَاذِبٌ وَحَلِيمٌ وَطَائِشٌ، وَجَوَادٌ وَبَخِيلٌ، وَشَبُهَ ذَلِكَ.

فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى: فَأَمَّا مَنْ بَذَلَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ وَاتَّقَاهُ، وَصَرَفَ نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ أَيُّ بَذَلَ. وَاتَّقَى أَيُّ مَحَارَمَ اللَّهِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا.

وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا).³

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى: وَصَدَّقَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ وَفَضَّلَهُ عَلَى الشَّرِّ، وَفَضَّلَ الْإِيمَانَ عَلَى الْكُفْرِ.

فَسَيُسِّرُهُ لِلْيُسْرَى: أَيُّ يَقُولُ مَلِكُ الْمُلُوكِ: إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ فَنُرْشِدُهُ لِأَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَنُسِّرُهُ عَلَيْهِ فِعْلَ الطَّاعَاتِ وَتَرْكَ الْمُحَرَّمَاتِ حَتَّى يَسْهَلَ عَلَيْهِ فِعْلُهَا.

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ، فَجَلَسَ وَجَلَسْنَا مَعَهُ، وَمَعَهُ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: "مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا" قَدْ كُتِبَ مَدْخُلُهَا. فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا؟ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلْسَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ. قَالَ: "بَلِ اعْمَلُوا فَكُلُّ

²الجامع لأحكام القرآن — شمس الدين القرطبي

³رَوَاهُ مُسْلِمٌ

مَيْسَرٌ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يُيسِّرُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يُيسِّرُ لِعَمَلِ الشَّقَاءِ- ثُمَّ قَرَأَ- فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى".⁴

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ، وَأَمْسَكَ عَنْ إِتْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَفِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنَ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَرَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى يَقُولُ: بَخِلَ بِمَالِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ.

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى: وَكَذَّبَ بِأَنَّ الْخَيْرَ أَفْضَلُ مِنَ الشَّرِّ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ خَيْرٌ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَنَّ مَرْضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ.

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى: فَمَنْ مَرَّتْ نَفْسُهُ عَلَى فِعْلِ الشَّرِّ، وَعَلَى الْإِمْسَاكِ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُيسِّرُهُ إِلَى أَعْسَرِ الْخُطَطَيْنِ، وَهُوَ طَرِيقُ فِعْلِ الشَّرِّ وَالْغَوَايَةِ. أَيُّ سُنْعٍ يَسِّرُ عَلَيْهِ أَسْبَابَ الْخَيْرِ وَالصَّالِحِ وَالصِّدْقِ حَتَّى يَصْعُبَ عَلَيْهِ فِعْلُهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلِكَ يُنَادِي صَبَاحًا وَمَسَاءً: "اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا".

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى: مَعْنَاهُ: أَيُّ إِذَا هَلَكَ الْبَخِيلُ، يُقَالُ: تَرَدَّى أَيُّ: مَاتَ سَقَطَ فِي جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْأَصَحُّ؛ لِأَنَّ التَّرَدِّيَ فِي اللُّغَةِ هُوَ السُّقُوطُ، يُقَالُ: تَرَدَّى مِنَ الْجَبَلِ كَذَا أَيُّ: سَقَطَ. فَكَانَ ذَلِكَ الْبُخْلُ سَبَبًا لِتَرَدِّيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى: أَيُّ: نُبَيِّنُ لِلْإِنْسَانِ الْحَالَ وَالْحَرَامَ، وَطَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالَةِ، وَنُعْطِيهِ قُوَّةَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَوَضَعْنَا لَهُ الشَّرَائِعَ الَّتِي تَهْدِيهِ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ. لِيَصِلَ إِلَى اللَّهِ.

⁴ رواه الترمذي

وَأَنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى: أَي: لَنَا كُلُّ مَا فِي الْآخِرَةِ، وَكُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا نَتَصَرَّفُ بِهِ كَيْفَ نَشَاءُ، لِأَنَّهُ مَالِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِالْعَالَمَيْنِ تَصَرُّفًا مُطْلَقًا. وَقِيلَ الْمَعْنَى: إِنَّ لَنَا ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَثَوَابَ الدُّنْيَا.

فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْظَى: أَي: حَذَّرَ اللَّهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ وَخَوَّفَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الْمُتَلَهَّبَةِ، تَتَوَقَّدُ وَتَتَوَهَّجُ، لَا يَدْخُلُهَا عَلَى صِفَةِ الدَّوَامِ إِلَّا الْكَافِرُ الَّذِي كَذَّبَ بِالْحَقِّ وَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ ابْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ وَيَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تُوَضَّعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ⁵".

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى: أَي: لَا يُعَذَّبُ فِيهَا إِلَّا الشَّقِيُّ وَلَا يَصْلَاهَا صَليًا لِإِذَا عَلَى جِهَةِ الْخُلُودِ إِلَّا الْأَشْقَى وَهُوَ الْكَافِرُ الْمُشْرِكُ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ". قِيلَ: وَمَنِ الشَّقِيُّ؟ قَالَ: "الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِطَاعَةٍ، وَلَا يَتْرُكُ لِلَّهِ مَعْصِيَةً⁶".

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى: الْكَافِرُ الْمُشْرِكُ هُوَ الَّذِي كَفَرَ بِرَبِّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ، وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ وَأَعْرَضَ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ، وَاتَّبَعَ شَرَعَ اللَّهِ.

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى: أَي: وَسَيُزْجَرُ وَيُبْعَدُ عَنِ نَارِ جَهَنَّمَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْمُخْلِصُ فِي إِيْمَانِهِ، الَّذِي خَافَ رَبَّهُ، وَخَشَعَتِ نَفْسُهُ لَهُ.

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى: أَي: الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ لِيُزَكِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَطَالِبًا بِرِضْوَانِ رَبِّهِ.

⁵ رواه البخاري في باب كتاب الرقاق

⁶ المسند (٢/ ٣٤٩)

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى: أَي لَيْسَ يَتَصَدَّقُ لِإِجْازَى عَلَى نِعْمَةٍ، وهذا المؤمن الصادق لا ينفق شيئاً من ماله رِئاء النَّاسِ فهُوَ يُنْفِقُ لِوَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وابتغاء مرضاته. ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى أَي بِالْجَزَاءِ.

وَلَسَوْفَ يَرْضَى: وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَي: يَرْضَى ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَالْمَعْنَى: يُعْطِيهِ اللَّهُ حَتَّى يَرْضَى. وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ "أَنْ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَام - أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: قُلْ لِأَبِي بَكْرٍ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عَنْكَ رَاضٍ، فَهَلْ أَنْتَ عَنِّي رَاضٍ؟ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ فَبَكَى وَخَرَّ سَاجِدًا، وَقَالَ: أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ."

المراجع و المصادر

- | | |
|---|---|
| جامع البيان عن تأويل آي القرآن | ابن جرير الطبري.....الوفاة: ٣١٠ |
| تفسير القرآن العظيم... | الحافظ ابن كثير.....الوفاة: ٧٧٤ |
| الجامع لأحكام القرآن ... | شمس الدين القرطبي.....الوفاة: ٦٧١ |
| فتح البيان في مقاصد القرآن... | صديق حسن خان القنوجي الوفاة: ١٣٠٧ |
| روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني | محمود شهاب الدين الألوسي..الوفاة: 1803م-1854م |
| فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية | الشوكاني.....الوفاة: ١٢٥٠ |
| صحيح البخاري | محمد بن إسماعيل البخاري.....194 256 هـ |
| صحيح مسلم | أبو الحسن مسلم بن الحجاج الوفاة 206 هـ 261 هـ |
| سنن الترمذي | أبو عيسى محمد الترمذي..... 209 – 279 هـ |

أبناء ديوبند ومساهماتهم في تطوير الصحافة العربية

محمد ربحان القاسمي⁷

المدخل:

عندما جعلت القوى الباطلة الصحافة سلاحاً للهجمات الشنيعة على الإسلام والمسلمين، وشعر علماء ديوبند بخطورتها وشرادتها فتابعوها متابعة مرتجلة وردوها رداً عنيفاً، ورموا لهذا الهدف أنشأوا جريدة علمية مبتكرة لم تعهد الصحافة الهندية في تلك الآونة، أول ما بادروا إليها وأقبلوا إلى هذا التحدي العظيم عام 1328هـ، وأصدروا مجلة بلغة الشعب المسلم الهندي لكي يسهل لهم التفاهم والدراسة، ويستفيدوا منها استفادة موفورة، وسماها "القاسم"، وهذه المجلة كانت تشتمل على المواضيع العلمية والتحقيقية والتاريخية، وكان الشيخ حبيب الرحمن العثماني يكتب فيها مقالة علمية وأدبية في كل شهر متوالياً بعنوان "كيف انتشر الإسلام في العالم"، وجمعت هذه المقالات باسم "إشاعت إسلام" وطبعت عدة مرات، وترجمت في عدة لغات من لغات العالم.⁽¹⁾

ثم أنشأوا مجلة أخرى باسم "الرشيد" في عام 1332هـ، باللغة السائدة في البلاد أي اللغة الأردية وصرفوا أنظارهم إلى مقاومة الظروف القاسية واحتفاظ الأمة عن البدع والخرافات وعادات الشرك والجهل.⁽²⁾

تاريخ الصحافة العربية بدار العلوم ديوبند:

أما الصحافة العربية فلم تتخلف دارالعلوم عن أقرانها في هذا الصدد، لأن الصحافة لو نأخذها في معناها الجامع لتتضمن جهود العلماء الديوبنديين الذين غادروا أوطانهم وهاجروا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والبلاد العربية الأخرى، وأخبروا المسلمين العرب شفويًا وتارة وكتابة أخرى عن الفواحش والكوارث التي تكاد الأمة أن تواجهها، وأيقظوهم من نومهم العميق وسباتهم الجسيم، وأدّوا معنى الصحفي الحقيقي حيث لم يتركوهم في كوارثهم وفواحشهم بل أنقذوهم من نارهم وساعدوهم في رفع صوتهم ضد أعدائهم، ومن رواد هؤلاء الصحفيين الشيخ رحمة الله الكيرانوي الذي ناظر مع القس فندر، وهاجر إلى مكة المكرمة، ثم طلبه الخليفة العثماني

⁷ الباحث في الدكتوراه، بجامعة جواهر لال نهرو، بنيدلي

السلطان عبد العزيز، فأنبأ السلطان عن أحوال الهند وأوضاعها الدينية والسياسية، ومظالم الإنكليز على الشعب المسلم في الهند، تألم منه الخليفة، واقترح على الشيخ أن يستقر عنده ويكتب أحوال الهند وقصة مناظرته مع القس ودلائله وبراهينه، فكتب الشيخ الكتاب العظيم "إظهار الحق" وأثر المكوث في حرم الله الأمين ووقع ذلك كله عقب ثورة 1857م مباشرة، عام 1280 هـ الموافق 1864م، حينما لم تشهد الهند وجه الصحافة العربية مطلقاً، لأن أول جريدة عربية صدرت بالهند عام 1871م باسم "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم"⁽⁴⁾.

ثم تتابعت الأخبار والأنباء في اللغة العربية وغيرها على أيدي هؤلاء العلماء مثل الشيخ محمود الحسن الديوبندي، والشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ عبيد الله السندهي، الذي كان جسراً حاسماً وصلته متينة بين حكام العرب وقادة الهند وزعمائها الساسة، وكان الشيخ عبيد الله السندهي يكتب الأحوال من كابل إلى شيخ الهند وكذلك الشيخ محمود الحسن لقي الأمير التركي غالب باشا ووزير الدفاع التركي أنور باشا وجرى بينهما الرسائل واطلع شيخ الهند بهذه الرسائل علماء الهند وقادتها،⁽⁵⁾ هذه الرسائل تعرف في تاريخ الهند بـ "غالب نامه".

والرسائل التي كتبها الشيخ عبيد الله السندهي إلى الحكام الأتراك والرؤساء العرب وقادة الهند لغرض تنفيذ الخطة التي اتخذها أستاذه شيخ الهند للقضاء على حكم الإنجليز بالقوة العسكرية، كانت أهم سلسلة من سلاسل الصحافة العربية، هذه الخطة تعرف بـ "حركة خطة الرسائل الحريية" وكان فيها توزيع الأعمال والواجبات لكل من الحكام والأمراء وطريق تنفيذها بكل من السر والإخفاء.⁽⁶⁾

اللهم إلا أن هذه الصحافة كانت غير متصلة ولا متتالية ولا محددة بالأيام والأعداد، والسبب الأساسي وراء ذلك أن هؤلاء العلماء مع تضلعهم من فصاحة اللغة العربية ورصانتها وسلاسة أسلوبها، وجزالة تعبيرها، لم يجدوا فرصة من وظائفهم التعليمية والاجتماعية والسياسية، لمثل هذه الخدمة المهنية للصحافة السائدة اليوم بتحديد الأيام والأوراق والمواضيع.

إن الصحافة عبارة عن مجموعة النقل والمنقول عنه والمنقول إليه، فالمنقول عنه هو مادة غريزة للصحافة فلولاها لم تتدرج الصحافة ولم تزدهر، كما نشاهد اليوم أن الأوضاع الحرجة والأحوال المضطربة تهيأ المواد الدسمة للصحافة، فكذلك عندئذ كان هؤلاء العلماء ونشاطاتهم مادة أساسية للصحافة وتدريبها وتنشيطها، فلهم دور أساسي في الصحافة حسب هذا الطرف الأنيق الناجع البارز اللازم.

ودخلت الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند في مجال الصحافة الرائجة في المنتصف الثاني من القرن العشرين، وأصدرت أول جريدة عربية باسم "دعوة الحق".
مجلة دعوة الحق:

كما ذكرنا سابقاً أن الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند اعتنت باللغة العربية منذ أول يومها، وتكثيراً للنطاق العربي في رحاب الجامعة، أصدرت مجلة عربية فصلية باسم "دعوة الحق" في شوال عام 1374 هـ الموافق فبراير 1965 م، وقام الأديب النابغ والأديب الكبير الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي برئاسة تحريرها كما إنه لعب دوراً أساسياً وراء إصدارها، كان الشيخ يشغف دائماً بهذه اللغة تديساً وتدريباً وكتابة وحواراً، يشتهر عنه أنه كان يرغب الطلاب على التكلم والكتابة والخطابة والقراءة حتى التضاحك والتمازج بهذه اللغة العربية الحبيبة، وكان يملك تأهيل الطلاب والدارسين في أسرع وقت ممكن، فلنيل فكرته تجاه الطلاب أصدر الشيخ هذه المجلة، وصعدتها إلى رفعة البهاء والزهاء التام، حتى جاء عام 1975 م، واقتلع شجرها الباسق وأخذ مكانه مجلة "الداعي" في سنة 1976 م.

حظيت المجلة منذ نعومة أظفارها بالجو الباهر، وألفت إقبال الدارسين والقارئ، واحتلت مكانتها الشعبية لدى الخواص والعوام، وطار صيتها إلى سماء أهل الضاد، أولاً كانت تنشر في 64 صفحة، ثم ازدادت صفحاتها وبلغت إلى 80 صفحة، وهذا يدل على قبولها، وسعة نطاقها وغرسها جذور الرسوخ والمحبة في صدور الطالبين، وأيضاً إسهامات أدباء العرب وكتائهم تدل على آفاقيتها وذروة كمالها، كانت المجلة تنشر المواد القيمة والمقالات النافعة الأدبية، وخاصة كتب علماء الدار وبعض الترجمات إلى العربية، وبحوث أساتذة الدار، تتمكن في الصفحة الأولى كلمة التحرير تحت عنوان "أفكار وخواطر"، ثم تليها مقالات وبحوث علمية وإسلامية، ثم الأنباء الثقافية وكانت تنشر في الختام الرسائل التي توجهت إليها بعنوان "بريد المجلة"، خلفت المجلة أثراً طيبة في جو دارالعلوم، أصبح الطلاب يشناقون إلى جودة اللغة وتحسنها ونما فيهم الذوق الأدبي والعلمي، واتجهوا إلى مطالعة الأدب العربي أكثر فأكثر، وبدأوا يكتبون المقالات المتنوعة بأسلوب عربي حديث، وأظهروا قدرتهم الفائقة على الإنشاء والكتابة بالأسلوب العصري الرائع.

وعلى صعيد آخر اهتمت إدارة التحرير بنشر الإنتاجات الأدبية والعلمية للكتاب والأدباء العرب من بين المتقدمين والمتأخرين، ونالت المجلة شهرة واسعة في مدة قصيرة، وسرعان ما أصبحت من أشهر المجلات الصادرة من الهند باللغة العربية في القرن العشرين.

وصرح مدير المجلة وحيد الزمان الكيرانوي أهداف المجلة في ألفاظ واضحة، يقول :
 "ونحن نشاء أن نقدم على صفحات مجلة "دعوة الحق" نبذة من سير علماء الدار تعريفا
 بخدماتهم الدينية والعلمية لكي يكون العالم العربي والإسلامي على علم بها، كما نسعى في كل عدد
 تقديم بعض المقالات المهمة العلمية الدينية لإخواننا الهنديين.⁽⁷⁾

أقوال الأدباء عن المجلة :

نالت المجلة الإعجاب والتقدير البالغين في الأوساط العلمية والأدبية، وأشاد بها كثير من
 أدباء العرب والهنود، يشهد بها "بريد المجلة" الذي كان عمودا مستمرا للمجلة، يقول عبد
 القدوس الأنصاري صاحب مجلة "المنهل" السعودية في رسالته: "سلمت خطابكم الكريم وإعداد
 المجلة الإسلامية العربية الزميلة الغراء "دعوة الحق" وإنني لأدعو الله للمجلة الزميلة بالنجاح و
 التوفيق".⁽⁸⁾

وكتب عنه محمد إسماعيل الندوي كلمات عالية: "لقد تلقيت مجلتكم "دعوة الحق"
 ببالغ السرور، لأنني أرحب بكل خطوة جديدة في المجال الفكري والثقافي في بلادنا، يسرني أن
 أخبركم أن كثيرا من المقالات في هذه المجلة الغراء شيقة من حيث الموضوع والمادة، وأرجو أن
 تقوم المجلة بنشر الثقافة الإسلامية في الهند".⁽⁹⁾

وكتب عبد الحليم الندوي في كتابه "مراكز المسلمين التعليمية والدينية والثقافية في
 الهند": "مجلة دعوة الحق" تصدر من عهد قريب باللغة العربية وتتضمن مقالات علمية وأبحاثا
 دينية قيمة باللغة العربية بقلم العلماء المتخصصين في هذه العلوم لكي تستفيد بأرائهم ونتاج
 أبحاثهم الدول العربية أيضا".⁽¹⁰⁾

وكتب الدكتور محمد يحيى الهاشمي رئيس جمعية الأبحاث العلمية من حلب بسوريا
 : "تلقيت بمزيد من السرور العدد الأول من مجلتكم الغراء الغنية بالمقالات الإسلامية العميقة
 المركزة".⁽¹¹⁾

فحوى القول إن المجلة بلغت رفعة الأدب وذروة الأسلوب الخلاب في مدة قصيرة وبسقت
 غصونها المورقة أطراف الشرق والغرب، وسبقت أقرانها كثيرا من الجرائد، ولعبت دورا باهرا في
 تربية الذوق الأدبي وتعميمه بين الشباب عامة وخريجي دارالعلوم خاصة وتشجيعهم على الكتابة
 بالعربية في الموضوعات الساخنة وساهم فيها الشباب بكتاباتهم من داخل دارالعلوم وخارجها.

جريدة الكفاح:

كما يظهر من اسم الجريدة أخرجتها جماعة وجمعية قدمت التوضيحات الكبيرة في سبيل الكفاح، وبذلت كل غال ورخيص في سبيل تحرير البلاد، وهذه الجماعة لولاها لكانت الهند في أغلال الاستعمار، وفي السلاسل البريطانية، هذه الجمعية تسمى بـ "جمعية علماء الهند"، أسسها العلماء البارزون والقادة المسلمون عام 1919م وأصبح المفتي كفايت الله أول رئيس لها، وشملت الأعلام البارزة في الهند مثل الشيخ محمود الحسن الديوبندي، والشيخ أنور شاه الكشميري، والشيخ حسين أحمد المدني والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والشيخ أسعد المدني ومن إلهم من جهابذة العلماء والزعماء. وكانت الجمعية تهتم بإصدار جريدة أسبوعية منذ عام 1925م باسم "الجمعية" وخطر في أذهان مسؤولي "جمعية علماء الهند" فكرة إصدار جريدة عربية نصف شهرية، فأصدروا جريدة باسم "الكفاح" في شهر يناير عام 1973م، من دلهي. وكان مكتبها الرئيسي في ديوبند، قام برئاسة تحريرها وحيد الزمان الكيرانوي وبإدارة التحرير أطفاف الرحمن الأعظمي.

تنشر الجريدة في صفحتها الأولى أخبار جمعية العلماء ونشاطاتها ثم تليها أخبار من البلاد العربية ومقالات أدبية إسلامية، وفي خاتمتها صفحة من معجم للناشئين وتشمل على 16 صفحة من القطع المتوسط ثم ازداد عدد الصفحات حتى بلغ إلى 64. مجلة الداعي:

مجلة عربية جامعة نصف شهرية، أصدرتها الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، في 11، رجب 1396هـ/10 يوليو 1976م، وشعارها الآية الكريمة "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" وكان أول رئيس تحريرها ألابيب الناصع والأستاذ البارع الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي-رحمه الله تعالى- ويعتبر الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي أساس البنية الأدبية ورأس الأباء المطبوعين في الجامعة، وكان أحرصهم على اللغة العربية وأدابها نطقا وكتابة، وأوفرهم حظا في تأهيل الدارسين والناشئين عليها، إتماما لحرصه الشديد أصدر الشيخ مجلة "دعوة الحق" عام 1965م، وبعد توقف هذه المجلة عام 1975م، أصدر مجلة "الداعي" وهذب أوراقها ونمق أسلوبها حسن طباعتها حتى صعداها إلى مستوى المجلات الراقية في الهند.

لا يزال الشيخ يرأس تحريرها حتى عامين وبعد ذلك أقام مقامه تلميذه النابغ الشيخ بدر الحسن القاسمي، بعدما فوض الأمر إلى الشيخ بدر الحسن القاسمي تسرع مسير المجلة إلى الرقي والإزدهار، وأصدرت أعدادا خاصة حول موضوعات شتى، مثل عدد خاص عن دارالعلوم ديوبند

صدرت عام 1982م، ودائماً تفكر بدر الحسن القاسمي في تعميمها وتزهيرها وترسيخ قدومها في الجذور الشعبية، حتى حان وقت انتقاله إلى دولة الكويت فتفكر الشيخ وحيد الزمان عن رئاستها وإبقاء مستواها حسب ما كان، فوقع نظره الثاقب على أديب جزيل وكاتب بليغ انتهل من هذا المنهل العميق كما استفاد من المناهل الأدبية الباهرة الأخرى. وذلك الشيخ نور عالم خليل الأميني الذي تتلمذ عند الشيخ وحيد الزمان وتخرج في المدرسة الأمينية بدلهي، واستلجاً إلى ندوة العلماء لكتاؤ تدريساً واستفاد من منافع الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، والشيخ محمد الرابع الحسيني الندوي ومن إلهم من كتاب وأدباء تلك الدار، ورد الشيخ نور عالم خليل الأميني في دارالعلوم رئيساً لتحرير المجلة وأستاذاً للأدب العربي في 7 محرم الحرام عام 1403هـ/ 25 أكتوبر 1983م، ما إن تولى الشيخ رئاسة تحريرها حتى بلغت المجلة ذروة الأسلوب وقمة الأدب، ولا تزال تترقى يوماً فيوماً، حتى مضى عليها الآن حوالي 36 عام. كما يقول الدكتور زبير أحمد الفاروقي:

"وإن هذه الصحيفة بصفة كونها لسان حال دارالعلوم تتيح مثابة فكرية لخريجي الدار لطرح إنتاجهم الفكرية والعلمية والأدبية علي العالم الإسلامي عامة، والعالم العربي خاصة. وتقدم هيئة تحرير الصحيفة بخدمات مشكورة لإبراز الدور العظيم الذي مثله المتقدمون من علماء الدار في إحياء ونشر العلوم الإسلامية في شبه القارة إلى جانب اطلاع العالم الإسلامي على النشاطات العلمية والثقافية اليونانية التي تقوم بها الدار. فهي مرآة صافية لخدمات دارالعلوم وجهادها العلمي والفكري الإصلاحي وكفاح علماءها المجاهدين ضد القوى المعادية للإسلام في كل زمان ومكان".⁽¹²⁾

أقوال الأدباء عن المجلة:

لاهتمام المجلة بنشر اللغة العربية وتعاليم الإسلام الصحيحة، أشاد بها العديد من قارئى الدول العربية منهم على سبيل المثال قاسم يوسف الشيخ (نادي الإصلاح، البحرين الخليج العربي) حيث يقول:

"سعدنا بمطالعة بعض أعداد جريدتكم الإسلامية الغراء، ولمسنا فيها الروح الإسلامية، والفكر الإيماني النير، وسعدنا أكثر عند ما تعرفنا على صفحاتها لفضيلة الشيخ محمد طيب رئيس الجامعة الإسلامية بديوبند ولغيره من الشخصيات الدعاة ومن لهم مقالات قيمة".⁽¹³⁾

وكذلك الدكتور أحمد عبد القادر عميد شؤون الطلبة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بالمملكة العربية السعودية ممن أشادوا بها، حيث يقول: "تسلمت العدد 24 من السنة الثانية،

وكم كنت مسرورا به لما حواه من أفكار نيرة ومبادئ إسلامية عالية، وكم أعجبت به لاهتمامه الشديد بأخبار العالم الإسلامي، ومحاولة تحليل مشكلاته بأسلوب براق يجذب القارئ إليه".⁽¹⁴⁾

وأثنى عليها معالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر الرياض بكلمات ذهبية لا تنسى أبدا، حيث يقول: "مجلة الداعي" إشعاع إسلامي ساطع صاف، هدفه النفع، وغايته الفائدة، ووعاؤه الإيمان العميق، وفحواه خدمة الإسلام، وجلاء صورته، والدفاع عنه، وإظهاره بالمظهر الحقيقي، والصورة المنيرة التي أرادها الله له، وأنه دين يهدي إلى التي هي أقوم، وإلى صراط الله المستقيم، وتوجيه المسلم إلى ما يسعده دنيا ودينا، هذه المجلة بحق ثغر جهاد، سلت أدواتها سيوفاً تحمي الحق، وتزهق الباطل، لدى كتابها يقظة أمام المكائد، ونباهة تجاه الدسائس، وعزم لتلغيت الفتن، والوقوف في وجوه الاستفزاز، تقف ديدبانا أمام ما يأتي أحيانا من أذى لعقيدة المؤمن، أو مكان عبادته، من بعض الجهالة والمتعصبين من أهل ديانات أخرى".⁽¹⁵⁾

الهوامش:

- (1) تاريخ دارالعلوم ديو بند، سيد محبوب رضوي، ص 232.
- (2) نفس المصدر ص 234.
- (3) تقديم الكتاب "إظهار الحق"، الرئاسة العامة للإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- (4) تاريخ دارالعلوم ديو بند، سيد محبوب رضوي، ص 35.
- (5) علماء هند كا شاندار ماضي، مولانا سيد محمد ميان ديو بندي.
- (6) تحريك ريشمي رومال، مولانا سيد محمد ميان ديو بندي.
- (7) المسلمون في الهند، أبو الحسن علي الندوي، ص 33، مجلة دعوة الحق، ج 1، عدد 1، فبراير عام 1965م.
- (8) مجلة دعوة الحق، ج 2، عدد 3، مايو عام 1966م.
- (9) مجلة دعوة الحق، ج 1، عدد 3، أغسطس عام 1965م.
- (10) عبد الحلیم الندوي، مراكز المسلمين التعليمية والدينية والثقافية في الهند، ص 11.
- (11) مجلة دعوة الحق، ج 1، عدد 3، أغسطس عام 1965م.
- (12) مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الأدب العربی، الدكتور زبیر أحمد الفاروقی، ص 75.
- (13) الداعي، ج 2، عدد 19، يونيو 1978م، ص 38.
- (14) نفس المصدر، ج 2، عدد 24، سبتمبر 1978م.
- (15) الداعي، ج 26، عدد 1، محرم 1433هـ، ص 28.

العلامة حميد الدين الفراهي ومساهمته في الأدب العربي

د. عرفات ظفر⁸

تمهيد:

إن اللغة العربية وآدابها لها تاريخ طويل مشرق في الهند، ويستهل هذا التاريخ منذ توافد المسلمين إلى هذه البقعة من العالم. فقد أقبل المسلمون منذ أول عهدهم في شبه القارة الهندية على تعلم اللغة العربية ودراساتها لكي يفهموا معاني الآيات القرآنية والإرشادات النبوية، ويعرفوا أوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها حق معرفتها، ويطلعوا على حكمها وأسرارها. فأجاد البعض منهم اللغة العربية إلى حد أنهم أصبحوا قادرين على تأليف الكتب والرسائل فيها وقرض الأبيات والقصائد بها. وهكذا أنهم تركوا كتباً قيمة وبحوثاً طيبة في شتى مجالات العلوم والآداب، (حتى نعتز بهم ونفتخر بذكر آثارهم العلمية والأدبية والدينية. واعترف العلماء العرب أيضاً بفضيلتهم وبراعتهم في تلك الفنون). فنجد اليوم قائمة طويلة لأعلام اللغة العربية في هذه البلاد، ستبقى أسماؤهم في صفحات التاريخ لأجل خدماتهم الجليلة وإنجازاتهم الرائعة في هذه اللغة المباركة. ومن هؤلاء العلماء الأجلة الشيخ العلامة حميد الدين الفراهي (1863-1930م) المعروف بـ "ترجمان القرآن"، الذي اختار اللغة العربية لغة الكتابة لجميع كتبه ومؤلفاته ولذلك أنه يحتل درجة رفيعة في تاريخ العلوم العربية والدراسات القرآنية في شبه القارة الهندية-الباكستانية.

نبذة عن حياة الفراهي:

وُلد هذا العالم الجليل والباحث الفذ في الشطر الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي في قرية من قرى مديرية أعظم كره (في شرق ولاية أتر براديش-الهند)، كانت اسمها "فريها" وباسم هذه القرية -التي هي مسقط رأسه- أنه وضع نسبته "الفراهي" بعد تعريبه. بدأ الفراهي تحصيله العلمي في منزله كدأب أبناء البيوتات الشريفة في المنطقة، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات أو نحو ذلك. ثم تعلم اللغة الفارسية من أستاذ محلي في بيته، (وسرعان ما حصلت له بذكائه وتوقد ذهنه ملكة قوية في اللغة الفارسية وامتلك ناصية البيان، فبدأ يقرض الشعر فيها وهو ابن ست عشرة سنة). ثم توجه العلامة الفراهي إلى دراسة اللغة العربية ولهذا الغرض انتقل من قريته إلى مدينة أعظم كره ليتعلم العربية من ابن عمته العلامة شبلي النعماني (1857-1914م) ويقرأ عليه الكتب المتداولة للمنهج النظامي، فأجاد اللغة العربية وفاق أبناء جلدته في العلوم الإسلامية. وأثناء إقامته في أعظم كره سمع العلامة الفراهي عن مركز علم في

⁸ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لكناؤ-الهند ، Mob. 09451392626

مدينة لکناؤ فساقه الشوق والشغف بالعلم إليه ليحضر في دروس ومحاضرات العالم الكبير والفقيه الشهير الشيخ عبد الحي الفرنغي محلي ولكنه لم يمکث هناك طويلا، ولروي غليله العلمي والأدبي أنه شد رحاله إلى مدينة لاهور ليتتلمذ على أديب العربية وشاعرها المفلح العلامة فيض الحسن السهارنفوري الذي كان يدرس اللغة العربية وأدائها في الكلية الشرقية بلاهور. وكانت شخصية العلامة السهارنفوري حينذاك محط رحال العلماء والطلبة على السواء، فكانوا يقصدون إليه زرافات ووحدا من أقاصي البلاد وأدائها، فقرأ عليه العلامة الفراهي وتأدب عنده وأخذ منه حظا وافرا من اللغة والأدب والشعر والنقد، وركز هناك عنايته على قراءة الشعر الجاهلي وحل مشكلاته اللغوية، فبرع في الأدب العربي وأخذ يقرض الأبيات ويكتب الرسائل في العربية، وكان عمره في ذلك الحين عشرين سنة.

وبعد التخرج في العلوم الدينية المتداولة انصرف العلامة الفراهي إلى دراسة العلوم الحديثة واللغة الإنكليزية وتحقيقا لهذا الغرض أنه التحق بكلية علي كره، وفي هذه الفترة ركز عنايته على دراسة الفلسفة الحديثة واكتساب المهارة في اللغة الإنكليزية، وهكذا أصبح جامعا للعلوم الدينية والعلوم العصرية، (كما يقول العلامة سيد سليمان الندوي مشيرا إلى هذه الحقيقة:

"فصار مجمع البحرين (بينهما برزخ لايبغيان) كان عالما بالعلوم العربية والدينية وفاضلا في العلوم العصرية والإنكليزية، فاجتمعت فيه خصال الجنسين: المتقين من العلماء الراسخين والمتنورين من الفضلاء الكاملين (1)"

ومن الأهمية بالمكان أن نذكر هنا أن العلامة الفراهي بدأ يطالع القرآن الكريم ويتدبر في آياته ومعانيها أيام طلبه في كلية علي كره، ومن خلال هذه الدراسة العميقة للقرآن الكريم أنه جاء -فيما بعد- بأفكار قيمة وآراء مثيرة ومنهج فريد لمطالعة القرآن مما لفت أنظار العلماء والباحثين بجدها وأصالتها، وبذلك ازداد شغف الناس واهتمامهم بالقرآن، فأنشأ حركة لدراسة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية وهكذا أصبح القرآن الكريم المحور الرئيسي لجميع أعماله العلمية والدينية وغلب على سائر نشاطاته في ألعوم القادمة.

فبعد الحصول على شهادة الليسانس من كلية علي كره قضى العلامة الفراهي حياته وهو يدرس اللغة العربية وأدائها في مدرسة الإسلام بمدينة كراتشي وكلية علي كره وجامعة إله آباد. وأثناء قيامه في علي كره تعلم الفراهي اللغة العبرية من زميله الأستاذ المستشرق الألماني السيد جوزيف هوروفيتس [Joseph Horovits] مقابل تعليمه إياه اللغة العربية. وفي الأخير أنه وصل إلى مدينة حيدرآباد كرئيس لكلية دارالعلوم النظامية والحكومية -التي عرفت فيما بعد باسم الجامعة العثمانية، وكان الفراهي أحد المؤسسين لها.

ولكنه استقال عن هذه الوظيفة في وسط المدة وراح إلى وطنه (عام 1919م)، وقد أشار إلى ذلك في ترجمته الذاتية قائلا:

"ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري. فيا أسفا على عمر ضيعته في أشغال ضررها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان (2)"

وبعد عودته من حيدرآباد أقام العلامة الفراهي في قريته وقضى معظم أوقاته في العبادة والمطالعة والتحقيق والتأليف، وبدأ يهتم بشئون مدرسة الإصلاح ودار المصنفين الإدارية. ولكنه ركز في هذه الفترة جل عنايته على أعماله التدريسية والتأليفية وخاصة على الأعمال التفسيرية حتى وافاه الأجل المحتوم في شهر نوفمبر عام 1930م في مدينة مათهورا حيث ذهب للعلاج وهو مدفون بها. وهكذا خدم العلامة الفراهي اللغة العربية -لغة القرآن- رسميا كمعلم وأستاذ طول حياته، وله بصمات عريقة في كل مجال خاض فيه العلامة من مجالات التفسير والتحقيق واللغة والبلاغة والشعر والأدب والتعليم والتربية والإصلاح والإدارة ولكن تجلت عبقريته في علوم القرآن وتفسيره حتى أصبح إسمه الآن رمزا للبحوث والتحقيقات القرآنية. مساهمته في النثر العربي:

وقد اتضح مما سبق أن المجال الخاص الذي انعطف إليه العلامة الفراهي منذ فجر شبابه هو دراسة القرآن الكريم والتدبر في آياته ومعانيه، وازداد هذا الشغف والاهتمام بالقرآن مع مرور الأيام حتى انقطع إليه عن جميع الأشغال والوظائف، كما يقول العلامة سيد سليمان الندوي في هذا الخصوص:

"ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودرسه والنظر فيه من كل جهة، وجمع علومه من كل مكان، ففضى فيه أكثر عمره، ومات وهو مكب على أخذ ما فات من العلماء ولف ما نشره ولم ما شتته وتحقيق ما لم يحققه، فكان لسانه ينبع علما بالقرآن وصدره يتدفق بحثا عن مشكلاته وقلمه يجري كشفا عن معضلاته (3)"

فالعلم الذي استحوذ على عقل الفراهي وقلبه هو علم القرآن وأقبل عليه إقبالا منقطع النظير، ونذر حياته كلها لفهم القرآن وإفهامه وتحقيق مفرداته وأساليبه، فقد أعد خطة شاملة لتدوين علوم القرآن وقضى حوالي أربعين ربعا من عمره في روضة القرآن، ولكن لم يمهله الأجل لإتمام هذه الخطة فقد أُلِف العلامة الفراهي حوالي أربعين كتابا بالعربية، ولكن يا للأسف أن معظم كتبه غير مكتمل ويوجد بشكل مخطوط، لم ير النور حتى الآن، فأذكر هنا -على سبيل المثال- بعض أهم مؤلفاته المطبوعة في علوم القرآن، وهي: مفردات القرآن، وأساليب القرآن، وإمعان في أقسام القرآن، وحكمة القرآن، وحجج القرآن، ودلائل

النظام، والتكميل في أصول التأويل، والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، وجمهرة البلاغة، وتفسيره المعروف "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

والآن نود أن نقدم أمامكم بعض مؤلفات العلامة الفراهي بقدر من التفصيل لكي نقدر قيمة أعماله العلمية واللغوية والتحقيقية ونتصور مدى نبوغه في علوم اللغة والأدب العربي.

مفردات القرآن:

فمن المعلوم أن معرفة الكلمات المفردة هي الخطوة الأولى في طريق فهم القرآن، ولذلك اعتنى كثير من العلماء والمفسرين بتحقيق مفردات القرآن وتفسير غرائبه منذ بداية الإسلام، فنظروا لهذه الأهمية التي يتمتع بها علم المفردات قام العلامة الفراهي بتأليف كتابه "مفردات القرآن" وأراد أن يقدم فيه تلك الكلمات والمفردات التي اختلف العلماء كثيرا في معانيها أو أخطئوا في تحديد مدلولاتها، وأوضح العلامة الفراهي في هذا الكتاب بأنه يجب على المشغوفين بالقرآن أن لا يلتفتوا إلى المعنى الغريب أو الشاذ للمفردات القرآنية، لأن القرآن نزل في لسان عربي مبين ولذا أنه خال من غرائب الكلمات وشواذها. وحاول فيه أن يفسر كلمات القرآن الدقيقة الغامضة ويحدد معانيها في ضوء الأدب العربي الفصح ونظائرها في آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، واستفاد في بعض مباحثه من اللغتين العبرانية والسريانية لما يوجد من التشابه بين هاتين اللغتين واللغة العربية، لأن هذه اللغات صنوان، فتهدى إحداهن إلى معنى الأخرى في بعض الأحيان، وعلى أساس معرفته بهاتين اللغتين تمكن الفراهي من البحث والتحقيق لكثير من الكلمات العربية أصلها عبرانية أو سريانية، وفيما يلي نقدم بعض النماذج من تلك الكلمات التي قام بتحقيقها العلامة الفراهي في هذا الكتاب:

الآلاء: هذه أول كلمة بدأ بها المؤلف بحثه في هذا الكتاب فيقول: "أجمعوا على أن معناه النعم ولكن القرآن وأشعار العرب يأباه، والظاهر أن معناه الفعال العجيبة فارسيته "كرشمه"، ولما كان غالب فعاله تعالى الرحمة ظنوا أن الآلاء هي النعم" ثم أتى العلامة الفراهي بثلاثة عشر شعرا من كلام الشعراء المتقدمين للاستدلال على هذا المعنى وإثباته، وقدم نظائره هذه الكلمة من القرآن، (وذكر أقوال أئمة اللغة والمفسرين العظام في هذا الصدد ليدعم قوله ويحكم دلائله).

ابن الله والرب والأب: وقد أخذ العلامة الفراهي هذه الكلمات أيضا في كتابه هذا وكشف الغطاء عن معانيها، فقد اختلطت معاني هذه الكلمات على أهل الكتاب، وغيروا معانيها حسب أهوائهم وجعلوا أنبياء الله وعباده أبناء الله، وهكذا ارتكبوا بالشرك والمعصية. وخلال بحثه عن هذه الكلمات وصل الفراهي إلى أصلها الموجود في اللغة العبرانية كما هو يقول: "إن كلمة الإبن في العبرانية تُستعمل لمعنيين: أولا للنسبة

كإبن السبيل وإبن الليل وإبن حول وسنة، وثانيا للعبد. ولفظ الإبن ليس كلفظ الولد، فإن الولد صريح في الإبنية. وهكذا أوضح الفراهي ما أفرط أهل الكتاب في استخدام هذه الكلمات، ثم أورد الدلائل من كتب اليهود والنصارى قائلا: كلما نجد في الإنجيل "ابن الله" فهو عبد الله في المعنى، وكلما نجد فيه "أبونا وأبوكم" فهو ربنا وربكم كما ترجمه القرآن.

فلا شك في أن هذا الكتاب يدل على أن العلامة الفراهي كان يمتلك ناصية اللغة العربية ويتضلع من أشعار العرب ولهجاتهم المختلفة ويعرف لغات الصحف السماوية القديمة ويقدر على الاستنباط والاستدلال منها، وبهذا العمل أنه أضاف إلى تراثنا التفسيري إضافة جديرة بالثناء والتقدير.

أساليب القرآن:

وبعد معرفة المفردات تأتي المرحلة لفهم أساليب القرآن، ومن المعلوم أن للأساليب مكانة كبيرة في جميع لغات العالم، لأنها تلعب دورا مهما في تأدية كلام الكاتب أو المتكلم وإظهار آرائه وأفكاره والتعبير عن مشاعره وخواطره، فلا يمكن الوصول إلى فحوى الكلام الصحيح وروحه وسره إلا بعلم الأساليب، ولذلك قام العلامة الفراهي بتأليف كتابه "أساليب القرآن" ليذكر وجوه الأساليب المتنوعة في القرآن ودلالاتها ومواقع استعمالها، وأوضح فيه المؤلف أن علم الأساليب في الحقيقة هو ما سمّاه العلماء بفن المعاني ولكنهم مع ذلك لم يؤدوا حقه في كتبهم وتأليفاتهم، وذلك لأنهم لم يراعوا في بحوثهم آثار العرب وسننهم في كلامهم، وأراد العلامة الفراهي بتأليف هذا الكتاب أن يجعل علم الأساليب فنا مستقلا بذاته.

(ومن المعلوم أن الدافع خلف جميع مجهوداته التأليفية هو فهم القرآن فهما صحيحا وإزاحة الستار عن حكمته وبلاغته، فالمقصود من هذا الكتاب أيضا فهم القرآن وإفهامه عن طريق توضيح تراكيب الكلام المختلفة وطرق التعبير المتنوعة، وتحدث فيه المؤلف عن أساليب كلام العرب والقرآن الحكيم، وأبرز فيه خصائص اللغة العربية ورموزها في ضوء الأدب العربي الفح والنكات اللغوية والبلاغية للقرآن الحكيم). والآن نورد بعض النماذج من هذا الكتاب لتتضح أهمية هذه الأساليب وقيمتها ومنها:

القرآن والوصل: وفي هذا المبحث ألقى الفراهي الضوء على حقيقة أسلوب هام وهو إيراد الصفات العديدة بدون العطف بالواو، ويفيد هذا الأسلوب القرآني أن جميع هذه الصفات متواجدة في الموصوف في آن واحد مثل قوله تعالى: "صم بكم عمي فهم لا يرجعون" (البقرة-18) أي أن هؤلاء الناس يتصفون بهذه الصفات في وقت واحد، وكذلك في الآية: "وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد" (البروج-14-16) يعني أن الله تعالى جامع هذه الصفات كلها في حين واحد، ونفس الأسلوب استخدمه امرؤ القيس في بيته التالي:

كجلمود صخر حطه السيل من علي

مكرم مفر مقبل مدير معا

(4)

الحذف: ومن أهم مباحث هذا الكتاب أساليب الحذف، وذلك أن العرب بحدة ذكائهم وتوقد أذهانهم كانوا يحبون الإشارة في كلامهم ويستغنون بالقليل عن الكثير ويحذفون من الكلام مما يفهم بدونه ويتأثر منه السامع، فكان الحذف من مزايا الكلام عندهم، فنقدم هنا نوعين من أساليب الحذف على سبيل المثال: (ألف) حذف الفعل بعد فعل مشابه: قد يُحذف الفعل بعد فعل مشابه موجود في جملة ما قبلها أو في المعطوف عليه اعتمادا على فهم المخاطب، كما هو في قول الشاعر:

وزجج الحواجب والعيون، أي وكحلن العيون

(ب) حذف جانبيين من المتقابلين لما دل عليه مقابله، كما قال تعالى: "فأذاقها الله لباس الجوع والخوف" (النحل-112)، أي أذاقها الله طعم الجوع وألبسها لباس الخوف، فقد حُذف هنا بعض الكلمات من كلا الجانبين وبدل عليه مقابله. وذهب المفسرون عامة إلى أن الأسلوب في الآية أسلوب استعارة أو تشبيه، ولكن الفراهي يقول ليس فيها شيء من الاستعارة والتشبيه بل هذه الآية نموذج رائع لأسلوب الحذف. العطف بالواو: أوضح المؤلف بصدد بحثه عن العطف بأن له وجوها مختلفة ومن أهمها استخدام واو العطف للبيان، كما جاء في قوله عز وجل: "وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين" (التوبة-86)، فيقول الفراهي إن الواو في الآية (وجاهدوا وقالوا ذرنا) بيان لآمنوا واستأذنك على وجه الترتيب، إذ أن النحويين وأئمة اللغة بوجه عام لم يروا الواو في الآية الكريمة للبيان.

وبجانب ذلك يشتمل هذا الكتاب على كثير من المباحث الأسلوبية النافعة لفهم معاني الآيات القرآنية وتدل دلالة واضحة لا على تعمقه في علوم القرآن وتذوقه بإعجاز بيانه فحسب بل على نبوغه وبراعته في علوم اللغة والأدب العربي أيضا.

وكذلك يُعد كتابه "إمعان في أقسام القرآن" من أهم مؤلفات العلامة الفراهي، واعترف بأهميته العلامة سيد سليمان الندوي قائلا:

"إنه كتاب لم يؤلف مثله خلال ثلاثة عشر قرنا من التاريخ الإسلامي، ... وكل من كتب حول هذا الموضوع من أهل العلم وأصحاب القلم منذ تأليف هذا الكتاب يردد في أبحاثه ومقالاته آراء الفراهي وأفكاره في أقسام القرآن ويكتفي بتقديم نتائج تحقيقه في هذا المجال (5)".

وفضلا عن ذلك يعتبر من كتبه ومؤلفاته حجج القرآن، والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح وجمهرة

البلاغة نماذج عالية للبحث والتحقيق، ولكي الآن اكتفي بهذا القدر من التفصيل.

فالواضح مما سبق أن العلامة الفراهي مفسر كبير ومحقق عظيم ولغوي خبير، وبكثرة مؤلفاته في اللغة العربية أنه يُعد كاتباً غزير الإنتاج الذي أكثر الكتابة في النثر العربي وأجاد فيه، وأما أسلوبه في الكتابة فهو يتصف بفصاحة الكلمات وسهولة العبارة وقلة التكلف وحسن الرصيف.

ومن الأهمية بالمكان أن نذكر هنا أن العلماء والباحثين في الهند ومن العالم العربي اعترفوا بعلمه وفضله وعلو كعبه في العلوم العربية والإسلامية وخاصة في الدراسات القرآنية، وكل من وصلت إليه كتبه ومؤلفاته أصبح متأثراً بمآثره العلمية وإنجازاته اللغوية والأدبية، فلما زار العلامة الأديب الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي ربوع الهند قابل العلامة الفراهي في قريته، فسأله عالم من علماء مدينة بنارس وهو الشيخ عبد المجيد الحريري "كيف وجدت مولانا الفراهي؟....؟" فأجابه الشيخ الهلالي قائلاً "هو بحر زاخر لاساحل له (6)". وفي مكان آخر شهد العلامة الهلالي على نبوغ الفراهي وقدرته الفذة على اللغة العربية وأدائها قائلاً: لم أر في بلاد الهند من بومبائ إلى كلكتا مثله في علوم الأدب العربي (7). وتقديراً لتبحره في العلوم العقلية والنقلية وخدماته الجليلة في العلوم القرآنية كانت أسماء العلماء المتقدمين تُضاف إلى اسمه، فيقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني عنه: "إن الفراهي كان الرازي والغزالي لهذا العصر (7)"، وهكذا لما سمع العلامة سيد سليمان الندوي نبأ وفاته رفع صوته ناعياً: ابن تيمية هذا العصر قد لى نداء ربه (8)".

والآن نلفت أنظاركم إلى جانب مميز آخر لشخصية العلامة الفراهي وهو الفراهي كشاعر عربي لكي تبرز لنا مساهمته في النثر والشعر معا.

مساهمته في الشعر العربي:

إن العلامة حميد الدين الفراهي – مع كونه عالماً كبيراً ومفسراً جليلاً- كان من أبرز شعراء العربية في الهند، له باع طويل في اللغة العربية وقدرة فائقة على قرض القصائد والأبيات، وله ديوان شعراً أيضاً بالعربية وهو مطبوع وخير شاهد على كونه أديباً بارزاً وشاعراً قديراً في هذه اللغة. ولكنه بشغفه البالغ بدراسة القرآن الكريم والتدبر في آياته لم يجد الفرصة ليولي اهتماماً لائقاً بالشعر والأدب، فكلما جاشت فيه العواطف وهزّت روحه الحوادث تفجرت منه الأشعار وفاض قلبه على القرطاس، وقد أشار إلى هذه النقطة الشيخ بدر الدين الإصلاحي بالكلمات الآتية:

"إن أستاذنا الإمام كان أديباً بليغاً وشاعراً حكيماً، ولكنه مع ذلك لم يقرض إلا قليلاً، وذلك لأنه قد انقطع بحول الله وتوفيقه من بدء شبابه إلى النظر في القرآن والتدبر فيه، حتى وجد منه ما تهادى به العواطف وتطمئن به القلوب وتسكن إليه الأرواح، فبه سكنت فيه عوامل الشعر وهذأت ولكنه مع هذا إذ كان في نفسه شاعراً مطبوعاً، فإذا جاشت فيه عاطفة شديدة وهجمت عليه فهو إذن يقرض (9)".

وأول قصيدة قرضاها العلامة الفراهي هي القصيدة التي نظمها أيام طلبه في علي كره لتهنئة العلامة شبلي

النعمانى حينما خلعت عليه الحكومة الإنجليزية لقب "شمس العلماء" سنة 1894م، فهذه القصيدة باكورة أعماله الشعرية والأدبية باللغة العربية، فيقول العلامة الفراهي في غرة هذه القصيدة:

ياخير من يسمو إلى العلياء	كالشمس بازغة بوسط سماء
قد كنت قُدماً للمعالى سامياً	أورثته عن شيمة الآباء
لاذت بجانبك العلوم فإنها	لولم تصنها أذنت بفناء
فلأسألن الله طول بقائكم	في كل بكرتنا وكل عشاء
وأهنئكم بما أعطيتكم	من خيرما وجدوا من الأسماء (10)

والجدير بالذكر هنا ان أكثر قصائد ديوان الفراهي يشتمل على ذكر الحروب التي دارت بين إيطاليا وتركيا وتأجج لهما في طرابلس وبلقان وأهقرت فيها دماء المسلمين الأبرياء، فتركت هذه المعارك الدامية شاعرنا الفراهي مضطرباً وقلق البال ففاضت مشاعره وعواطفه في قالب الأشعار، ويبدو من هذه القصائد والأبيات أن العلامة الفراهي كان يملك قلباً حساساً، وكان هذا القلب يتفطرو ويتوجع بكل ما كان يحدث على ساحة الأقطار الإسلامية، فكان يستشعر بمصائب إخوانه المسلمين وآلامهم. فلما هاجمت القوات الإيطالية مدينة طرابلس وأراقت فيها دماء المسلمين الأبرياء أصبح الفراهي جريح القلب بكل ما حدث مع أبناء الإسلام في هذه المدينة، فلم يلبث أن رفع صوته ضد المظالم والاعتداءات وانتهاك حقوق الإنسان في البلدان العربية، وأبرز بمنتهى الشدة والقوة الوحشية والهمجية التي ارتكبتها القوات الإيطالية ضد الأطفال والشيوخ من المسلمين، فأعرب الشاعر عن ألمه البالغ وسخطه الشديد قائلاً:

غدرت بنا الروم الفواجر	ذاك الذي كنا نحـاذر
شبت إيطالية الحروب	وما لها في الناس عـاذر
حثت لها أبـناءها	الغاوين في الهيجاء المضاجر
ليدوخوا ملـكاً ويند	تهبوا المدائن والعمائر
فأتوا طرابلس التي	لاحت لهم أدنى المعابر
دخلوا المدينة يقتلون	بها الأكابر والأصاغر (11)

وفي قصيدة رائعة أخرى عنوانها "في ذكر هجوم الطليان وظلمهم" قد رثى بها الشاعر ببالغ الحزن والأسى أولئك المسلمين الذين أصبحوا ضحايا هذا العدوان المسيحي في طرابلس، فبكى الشاعر نفسه في هذه القصيدة وأبكى الناس على أحداث طرابلس، إذ هو يقول:

يا عين بكّي بالهوامع	لا ترقان لك المدامع
قتلى طرابلس الذين	تطحطحت بهم القوارع

نبيكي على إخواننا	اهل المكارم والدسائع
دهمتهم الروم الفوا	تك بالمراكب والمدافع
قتلوا المراضع في المضأ	جع والضوارع في الشوارع
لا دين عندهم ولا	حلم عن العدوان وازع
يبدون نصرانية	زورا وقد رفضوا الشرائع
بل يشمنز الكفر مما	يركبون من الشنائع (12)

ومن أروع القصائد التي قرضها الشاعر الفراهي على كارثة طرابلس قصيدة عنوانها "في تناول الطليان على طرابلس"، فهي تمس القلوب وتثير العواطف وتحرض المسلمين من جميع أقطار العالم على الجهاد ضد عدوان أعداء الإسلام والإنسانية، وهذه الأبيات خير شاهد على موهبته الشعرية وقريحته الفياضة وقدرته الفائقة على التعبير عن خواجه النفسية، فهو يصرخ قائلا:

كيف القرار وقد نكس	أعلامنا بطرابلس
كيف القرار وحولنا	الأعداء ترتقب الخلس
نبيكي على إخواننا	بين القتل ومن حبس
هم أهلنا وعشيرنا	أفيألمون ولا نحس (13)

ومن الملاحظ هنا أن العلامة الفراهي لعله قد أحس في تلك الفترة من الزمن بكل ما سيحدث في البلاد العربية في الأيام القادمة وخاصة في أرض فلسطين بسبب المؤامرات والمكيدات التي حاكها اليهود والنصارى قبل سنين، فيشير في نفس القصيدة إلى تلك المشاكل والفتن التي سيتعرض لها المسلمون في القريب العاجل قائلا:

فاليوم إن لم تدفعوا	فليأتين يوم النحس
إني أرى فتنا تموج	وقد ظهرن لمن حدس
يبغون قسطنطينية	وبعدها أرض القدس
قد صبح في حجراتها	ولتسمعن لها الجرس
فلننضحن أو نقتلن	عن قدسنا القوم النحس
فاحموا ذمار الملة	البيضاء كالأسد الشكس (14)

فبفضل قصائده ومنظوماته حول حرب طرابلس نال العلامة الفراهي قبولا واعترافا في العالم العربي أيضا، فلما سمع الشيخ أحمد السنوسي هذه القصائد انهمرت الدموع من عينيه (15)، وكذلك العلامة الأديب تقي الدين الهلالي، الذي سنحت له الفرصة للاستماع إلى هذه القصائد من لسان الشاعر، أعرب عن رأيه حول شعر الفراهي معترفا بعظمته شعره وسمو فكره وقدرته على التحدث والكتابة بالعربية، فهو يكتب في هذا الخصوص:

"وللشيخ المذكور (حميد الدين) ديوان شعر سمعته منه، بليغ مؤثر في استنهاض همم المسلمين وبث الحياة في

قلوبهم وذكر عداء الأفرنج لهم وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى، والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلا عن علماء الهند، (16)".

والباحث المصري الشاب الدكتور جلال السعيد الحفناوي من جامعة القاهرة وصف الفراهي بالشاعر السياسي الوحيد في شبه القارة الهندية، و قال إن الفراهي لم ينظم كثيرا من أغراض عصره كالمديح والرثاء والمواغظ، بل كان معظم شعره في السياسة (17).

(وأما أسلوبه في الشعر فهو متصف بالبساطة والسهولة إلى حد أنه لمن الصعب أن يأتي أحد بمثلها، كما يقول الشيخ بدر الدين الإصلاحي في هذا الصدد:

"قد جاء نظمه سهلا خفيفا، يطمع السامع أن يأتي بمثله ولكنه إذا حاول عجز،... وإن هذه كلها تدل على أنه كان من الشعراء المطبوعين المجيدين الذين لا يقرضون إلا بفيض قريحتهم ووحى فطرتهم (18)".

فبناء على هذه الميزات والخصائص يحتل العلامة حميد الدين الفراهي مكانة مرموقة في تاريخ الشعر العربي في شبه القارة الهندية.

المراجع والهوامش:

- (1) إمعان في أقسام القرآن للمعلم عبد الحميد الفراهي، ص 16-17، دار القلم دمشق، 1415هـ
- (2) ذكر فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، ص 23، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره عام 2001م
- (3) إمعان في أقسام القرآن، ص 17
- (4) ديوان امرئ القيس، ص 52
- (5) مختصر حيات حميد للشيخ عبد الرحمن ناصر الإصلاحي، ص 9-10
- (6) ذكر فراهي، ص 738
- (7) المصدر السابق، ص 738
- (8) ياد رفتهكان للعلامة سيد سليمان الندوي، ص 110
- (9) ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص 5
- (10) المصدر السابق، ص 33
- (11) المصدر السابق، ص 19
- (12) المصدر السابق، ص 17
- (13) المصدر السابق، ص 15-16
- (14) المصدر السابق، ص 16
- (15) ذكر فراهي، ص 629
- (16) المصدر السابق، ص 23
- (17) مجلة ثقافة الهند، ج 55، ع 2، عام 2004، ص 55
- (18) ديوان الفراهي، ص 6

نشأة الصحافة العربية في الهند

الدكتور سجاد احمد الندوى

المدخل:

الصحافة معناها اللغوي: الكتاب والرسالة كما تنص عليها معاجم اللغة وجرت بها السنة العرب يقول صاحب لسان العرب: الصحف ج صحيفة وهي التي يكتب فيها، التنزيل: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى"⁹ يعني الكتب المنزلة عليهما وعلى نبيينا عليه الصلاة والسلام¹⁰.

ويقول صاحب أساس البلاغة: صحيفة وصحف وصحائف هي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه¹¹.

ويقول صاحب معجم متن اللغة: الصحافة حرفة نشر الصحف وعملها والنسبة إليها صحاف وهو أجودها وصحافي وصحفي مولد¹².

فثبت بذلك أن الصحيفة عبارة عن المكتوب أو مادة صالحة لكتابة وقد استعملها العرب قديماً في معنى ما فيه خبر أو إعلان أو معلومات ووردت هذه الكلمة في القرآن الكريم حيث قال سبحانه وتعالى: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى"¹³ وهي تدل على ما كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخبار الأمم والشرائع السماوية وغيرها مما يتعلق بأداب الحياة الإنسانية، وتروي لنا كتب السيرة أن قريش مكة المكرمة سموا الوثيقة التي علقوها بجدار الكعبة صحيفة لأنها كانت تحمل خبر مقاطعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

المعنى الاصطلاحي:

الصحافة معناها الاصطلاحي يقول محمود عزمي فيها: "هي وظيفة اجتماعية وتوجيه

⁹ سورة الأعلى: 18-19.

¹⁰ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين لسان العرب، 187/9.

¹¹ الزمخشري جار الله محمود عمر أساس اللغة، 6/2.

¹² أحمد رضا: معجم متن اللغة، 424/2.

¹³ سورة الأعلى: 18-19.

الرأي العام عن طريق نشر المعلومات والأفكار الخيرة والناضجة والمناسبة إلى مشاعر القراء في خلال صحف دورية".

ويقول الدكتور عبد السلام خورشيد: "الصحافة هي المادة التي تطبع على فترات معينة"¹⁴.

ويقول محمد خير الدرع: بقيت هذه الكلمة مهماً استعمالها رداً من الزمن حتى أحيائها رشيد الدحداح سنة 1858م وأجهز بها على الكلمات الأجنبية كالغازة والجورنال¹⁵.

وقد عرفها أصحاب وجهات النظر المختلفة على اختلاف منحاهم الفكري، فقال الشيوعيون، الصحافة التي تخدم النظرية الشيوعية والماركسية في العالم، ونظر الرأسماليون: الصحافة أنها تجارة حرة وغرضهم منها كسب الأموال أو خدمة الوسائل التي تؤدي إلى تكديس تلك الأموال.

وأرى أن لفظ الصحافة اليوم يشتمل جميع الطرق التي تصل بواسطتها الأنباء والأخبار والتعليقات عليها إلى الجمهور، والمادة الأساسية لها هي كل ما يهم الجمهور وكل رأى وفكر وقول وعمل يحتاج إليه الناس.

أهمية الصحافة في العالم المعاصر:

بلغت أهمية الصحافة في العصر الراهن حداً لم تصل إليه من قبل فاحتلت مكاناً محورياً تدور حوله الحياة وتتوقف عليه كثير من شؤون الحياة الإنسانية وتقوم دور التوجيه الفكري وتقود المجتمع إلى الصواب وتصرفه عن الخطأ عن طريق النقد الهادف وتفتح آفاق الفكر الإنساني وتسجل التاريخ المعاصر، وتيسر الطريق للتقدم الأدبي والعلمي وتقرب الأدب إلى واقع الحياة وتزيده حيوية وواقعية.

إن صحافة اليوم أكبر مظهر لرقى الأمة ونضجها وأكبر معين للأمن وأقوى نصير للحق والعدل وهي دائماً تعمل في زيادة الثقافة للأمة ومجتمعها ولها النفوذ والقوة فهي سياج الوطن وسلاح الساسة ومجمع الأدباء والعلماء وهي جامعة علمية تلقن طلابها الدروس المفيدة الممتازة في أوقات قليلة، هي كنز لمعرفة الأمم الماضية وتتوقف عليها اليوم مصير الأمم وهي أقوى وسيلة في البناء والهدم

¹⁴ عبد السلام خورشيد داستان صحافت، ص 11.

¹⁵ محمد خير الدرع معلم الصحافة والإنشاء والصحافة الحرة قلب الأمة الحافق، ص 21.

لأن الصحفي يمكن أن ينشر بقلمه الآراء الصحيحة أو الفاسدة فيثبت أثرها في البناء والهدم وهي أساس البلد ولسان أهلها وهي رسالة تؤدي مهمتها وتكون الجريدة أفتك وأنكى من أي سلاح يستعمل في الحرب قال نابليون: إن أربع جرائد معارضة أكبر خطراً من ألف قبيلة¹⁶.

وقال أحد الشعراء المعروف بأكبر إله آبادي أهمية الجرائد والصحف "لا يخترق السيف ولا تمسك السهام أمام المدافع أيام الحرب فحسب بل عليك بإصدار الجريدة في مثل هذا الوقت أيضاً"¹⁷.

بداية الصحافة الإسلامية باللغة العربية في الهند:

دخلت اللغة العربية بلاد الهند مع امتداد الدعوة الإسلامية إليها ونالت اعتناء لا بأس به عند أبناءها المسلمين وذلك لأنه لم يكن من الممكن لهم أن ينهلوا من ينابيع الفكر الإسلامي ومصادره الإصيلية إلا بعد أن يتقنوا اللغة العربية ولذلك نجد كثيراً من أبناء هذه البلاد برزوا في تعلم وتخصصوا في فلسفة لغتها ووجد هناك عدد كبير من العلماء الذين ألفوا كتبهم بها ولا تشم في كتاباتهم العجمية والرتانة ولا يسعنا بهذا الصدد إلا أن أذكر على المتقي وأحمد السرهندي وعبد الحق الدهلوي وشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي وأمثالهم الكثيرين الذين رقموا كتاباتهم في اللغة العربية بأسلوب فصيح رحمهم الله تعالى جميعاً.

وبما أن اللغة العربية لم تكن لغة التفاهم بالنسبة لأبناء البلاد ولم تكن لهم روابط ثقافية مباشرة بالبلاد العربية لوعورة الطريق وبعد المسافة فإنها لذلك انحصرت في الأوساط العلمية فقط وكان يوجد فيها عدد قليل يقدر على التعبير بها حواراً وكتابة وهكذا أصبحت اللغة العربية غير نشيطة في هذه البلاد.

وبعد أن شاعت الطباعة في الهند وبدأ ظهور الجرائد المطبوعة في لغات شتى قام بعض أولي العزم من المسلمين بإصدار جريدة باسم "النفع العظيم" لأهل هذه الأقليم باللغة العربية وكانت هذه أول بادرة للصحافة العربية الإسلامية وخلفت أثراً بعيداً المدى في أبناء هذه البلاد والذين كان لهم إلمام باللغة العربية حيث تكشف لهم مجال تشتغل فيها الصحف كفاءاتهم وتجديد صلتهم باللغة العربية.

¹⁶ أبو سلمان شاه جهانفوري: أرمغان آزاد، ص 193.

¹⁷ عتيق أحمد الصديقي: هندوستانى أخبار نويسي كمبني كى عهد مين، ص 19.

النفع العظيم لأهل هذا الإقليم: أول جريدة عربية:

قام بعض الناس بإصدار جريدة أسبوعية باللغة العربية فكانت أول جريدة عربية في تاريخ الهند هي "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" التي أصدرها شمس الدين من بلدة لاهور، صدر أول عدد لها في 17 أكتوبر عام 1871م وتولى مسئولية تحريرها الشيخ المولوي مقرب على وأشرف عليها "جي، وي ليتال" G, W, LAITAIL" مدير التسجيل بجامعة البنجاب، كانت هذه الجريدة تحتوي في بدايتها على ثمان صفحات ثم أضيفت إليها صفحتان فأصبحت عشرة وكانت تطبع على الحجر في المطبعة البنجابية في لاهور وكانت تنشر فيها مقالات دينية وأدبية واجتماعية، وكانت تعبر اهتماماً للموضوعات التعليمية والاجتماعية ثم قام بعض أولى الهمم بإصدار مجلتي البيان والضياء اللتين لم تستمر طويلاً.

ثم أدركت هذه الحركة حركة ندوة العلماء أن تؤسس معهداً تعليمياً مستقلاً يمثل هذه الفكرة ويوسع نطاقها فأسس أصحابها عام 1312هـ دار العلوم التابعة لندوة العلماء التي ذاع صيتها مؤخراً في سائر أنحاء العالم الإسلامي وتخرج فيها العلماء العباقرة مثل العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى ومولانا مسعود عالم الندوي رحمه الله تعالى والمفكر الإسلامي العلامة السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله تعالى وغيرهم.

بعد أن تأسست هذه الدار ورحب بها الشعب وبدأت أصداء دعوتها تملأ الآفاق وأدرك المشرفون عليها وعلى رأسهم العلامة شبلي النعماني رحمه الله تعالى الحاجة إلى أن تصدر ندوة العلماء مجلة شهرية تكون لسان حالها وتساعد في نشر دعوتها إلى أوسع نطاق وقد ظهر أول عدد من مجلة الندوة في أغسطس عام 1904م في شاهجهان فور وتولى تحريرها العلامة شبلي النعماني رحمه الله تعالى والشيخ حبيب الرحمن الشرواني رحمه الله تعالى وتولى شؤونها الإدارية العلامة عبد الحي الحسيني رحمه الله تعالى في تلك الفترة ومع أن الندوة صدرت مبدئيةً بلسان حال ندوة العلماء ومعهدا ولكنها لم تكن كالدوريات التي تصدرها الدوائر التعليمية عادة بل إنها كانت بمثابة ثورة في الصحافة الإسلامية في الهند ولها فضل كبير لا ينكر في رفع مستواها في المادة المنشورة وفي مظهرها وتربيتها وكذلك في تبنيها الأسس الحديثة للصحافة وتكييفها مع مبادئها وربما كان السرفي نجاحها الباهر أنها كانت تضم بعض الشخصيات المهمة التي كانت تعد على الأصابع في الهند في ذلك الزمن، هذا إلى جانب دعوتها الجذابة التي كانت ترفع لواءها واستمرت الندوة، تحت إشراف العلامة شبلي النعماني لغاية مايو 1912م ثم انفصل عنها

ويمكن تسمية هذه الفترة بالعصر الذهبي للمجلة، بعد أن انفصل عنها العلامة شبلي النعماني رحمه الله تعالى تعاقب على إدارتها عدة أشخاص على فترات مختلفة ومنهم مير عبد الكريم العلوي حتى آلت مسئوليتها إلى إكرام الله خان الندوي الذي استمر في تحريرها إلى عام 1916م ثم توقف صدورها لبعض الأسباب القاهرة ويمكن أن تسمى هذه الفترة المرحلة الثانية للمجلة "الندوة" وظلت هذه المجلة محجوبة زهاء 22 عاماً ثم عادت إلى الظهور في يناير عام 1940م مرة أخرى، تولى مسئولية تحريرها هذه المرة المفكر الإسلامي أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله تعالى وزميله مولانا عبد السلام القدوائي الندوي رحمه الله تعالى ولكن لم تطل مدة صدورها أكثر من ثلاث سنوات لأجل الظروف الاقتصادية التي كانت تمر من خلالها دار العلوم ندوة العلماء آنذاك ولم تعد إلى الظهور بعد ذلك.

مجلة البعث الإسلامي:

تعتبر دار العلوم ندوة العلماء الواقعة بكنائ، الهند واحة اللغة العربية وآدابها لشدة اعتناء أصحابها بهذه اللغة الشريفة وحيم لها وذلك منذ تأسيسها وقد نجحت هذه الدار في إنشاء عربي أصيل في هذه البلاد البعيدة عن العربية وأهلها، وفي هذه الواحة نفسها نبتت شجرة كريمة باسم مجلة "البعث الإسلامي"، وكتب لها ازدهار والتقدم حتى أنها أصبحت تضارع كثيراً من المجلات الصادرة في البلاد العربية نفسها، وقد رزقت أقلاماً بلغت بها قمة الصحافة الإسلامية الأصيلة مع قلة إمكاناتها المادية وظروفها الجرحية.

ترجع تاريخها إلى عام 1955م لما قام مولانا محمد الحسيني رحمه الله تعالى وأسس منتدى أدبياً باسم "المنتدى الأدبي" وأصدر عنه مجلة "البعث الإسلامي" الغراء بمساعدة كل من زميله الدكتور مولانا سعيد الأعظمي الندوي مد ظله العالي والدكتور اجتباء الندوي رحمه الله تعالى وهكذا ظهرت أعظم جريدة في تاريخ الصحافة الإسلامية العربية الهندية في شهر أكتوبر عام 1955م وأسستها بداية ندوة العلماء من مارس عام 1960م والجريدة تصدر في هذه الأيام بلسان حال ندوة العلماء لكنائ، وتقوم بتحريرها حالياً الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي مد ظله العالي ومولانا محمد واضح رشيد الحسيني الندوي مد ظله العالي، الذي أضيف مؤخراً إلى هيئة تحريرها بعد ما عاجلت المنية رئيس تحريرها الشاب مولانا محمد الحسيني رحمه الله تعالى بدأت المجلة تصدر في حجم 32 صفحة إلى أن وصل حجمها 100 صفحة وقد تبني أصحابها الصحافة كواجب ديني لا كوسيلة لجمع الأموال بدون مهابة أو مجاملة لأحد وقد لقوا في ذلك عنتاً من قبل الجهات

الحكومية من الإنذار أو بإلقاء القبض وعندما نشرت المجلة في مواضيع ساخنة عن الاضطرابات الطائفية في الهند أو عن عمليات قمع الحركات الدينية في بعض البلاد العربية والإسلامية.

جريدة الرائد العربية:

قد أنشأها سماحة الشيخ مولانا محمد الرابع الحسني الندوي مد ظله العالي رئيس ندوة العلماء، لکناؤ، في عام 1959م وهي ترفع اللواء ذاته الذي ترفعه مجلة البعث الإسلامي، ولا شك بأن للرائد إسهاماً ملموساً في تقدم الصحافة العربية إلى الأمام في شبه القارة الهندية.

مجلة دعوة الحق:

ثم انضمت مجلة "دعوة الحق" في شهر فبراير عام 1965م إلى مسير الصحافة الإسلامية العربية بشبه القارة الهندية وكان يصدرها وحيد الزمان الكيرانوي من دار العلوم ديوبند، كانت تصدر أربع مرات في السنة ولم يستمر صدورها أكثر من عشرة أعوام وتوقفت في 1975م بعد عدد شهر فبراير.

مجلة الجامعة السلفية:

في بنارس من أهم الدوريات الصادرة باللغة العربية في الهند أصدرتها الجامعة السلفية من بنارس في شعبان 1989م.

جريدة الكفاح العربية:

أصدرت جريدة نصف شهرية باسم الكفاح في شهر يناير عام 1973م ديوبند وقام برياسة تحريرها وحيد الزمان الكيرانوي، وإدارة التحرير أطفاف الرحمن الأعظمي.

جريدة الدعوة الإسلامية:

هي لسان حال الجماعة الإسلامية الهندية باللغة العربية وصدرت في شهر أبريل عام 1975م من دلهي، وتولى تحريرها سلمان الندوي.

جريدة الداعي العربية الشهرية:

أصدرت دار العلوم ديوبند بعد ما توقفت دعوة الحق جريدة نصف شهرية باسم "الداعي" في شهر يونيو 1976م وتولى تحريرها وحيد الزمان الكيرانوي ثم بدر الحسن القاسمي ثم نور عالم الأميني وهو الآن رئيس تحريرها.

مجلة ثقافة الهند العربية:

صدرت الحكومة الهندية مجلة ثقافة الهند عن مجلس الهند للروابط الثقافية تحت إشراف الكاتب الإسلامي والزعيم السياسي المعروف أبو الكلام آزاد في يناير عام 1950م وتولى

تحريرها في البداية عبد الرزاق المليح آبادي الندوي وتعاقب بعده على تحريرها آخرون.

مجلة المجمع العلمي الهندي العربية:

أنشأت جامعة عليكره الإسلامية أكاديمية باسم المجمع العلمي عام 1976م وهي تصدر في العام مرتين ويتولى رئاسة تحريرها مختار الدين أحمد آرزو رئيس قسم اللغة العربية. وإذا سرحنا أطرافنا إلى ربوع جامو وكشمير وتأملنا في مجال صحافتها الإسلامية العربية فوجدنا فيه مجلتين إسلاميتين عربيتين:

1- مجلة الدراسات العربية بسري نغركشمير:

هي مجلة علمية أدبية ثقافية يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سنوياً منذ عام 2002م، هي منذ أول يومها تعني بالدراسات العربية وتهدف إلى تعميم اللغة العربية وترويجها في هذه البقعة الجميلة وذلك عن طريق نشر البحوث والمقالات العلمية عن اللغة العربية والأدب العربي والثقافة الإسلامية فإنها تفتح المجال لأساتذتها والباحثين الكرام لتقديم بحوثهم العلمية حول الموضوعات التي لها ارتباط باللغة العربية وآدابها ولا تزال تقوم بدورها المستمر في تحقيق هذه الأهداف المنشودة السامية.

ومما لاشك فيه أنها نجحت إلى حد ما في تحقيق أهدافها النبيلة ونالت إعجاب القراء فثقتهم بها لا تزال تتزايد، وقد أحرزت التقدير والتحسين من قبل دوائر محبي اللغة العربية عبر البلاد.

وإن تأسيسها في 2001م كان حادثاً عظيماً في تاريخ اللغة العربية في كشمير وقد نشرت في أعدادها المختلفة مقالات الأساتذة الكبار في الهند.

2- مجلة التلميذ:

هي مجلة شهرية للناشئين والناشئات والباحثين والباحثات تصدر من مركز الثقافة الندوية بمدينة سرينغر كشمير تحت رئاسة الدكتور معراج الدين الندوي، بتعاون بعض الأساتذة الكرام والأصدقاء والأحبة الأعزاء الذين شاركوا في اتجاه هذه المجلة التي أسست عام 2011م وبقيت السجل الأبرز لحركة الأدب والثقافة العربية في كشمير وخارجها، وهي تعتبر اليوم باقة المنابر الثقافية، والأدبية الإسلامية، وتهدف إلى تعزيز الثقافة العربية ومواكبة الأعمال الأدبية من خلال نشر الآراء والدراسات ومناقشة القضايا الثقافية والأدبية بكافة أنواعها.

تشكلت ملامحها التحريرية في هيئتها الحالية مراعية التنوع في الموضوعات الثقافية

الشاملة، تتصدرهما افتتاحية تتناول شؤوناً ثقافية عامة إضافة إلى أن عدداً من المثقفين يناقشون قضايا ثقافية وأدبية تطرحها المجلة كل شهر فضلاً عن موضوعات أخرى أبرزها الدراسة القرآنية والأدب العربي بالإضافة، إلى مساحات رحبة تشجع المشاركات الإبداعية من قراء المجلة تختص بالشعر والقصة القصيرة كما لم تهمل المجلة التفاعل مع قرائها من خلال صفحات ساحة الحوار التي تعكس صدى ما ينشر بأقلام قرائها قد خصصت فيها مكاناً للناشئين واهتمت بنشر إنتاجاتهم فإن خطوتها هذه تجاه إصدار المجلة تبشر بمستقبل أدبي صافي زاهر لطلاب العربية في ولاية جامو وكشمير خاصة وبلاد الهند كلها عامة، والجيل الذي تيسر لي في حضنها وينشأ في ظلها سوف يكون أقوم لساناً وأحسن بياناً ونبراساً في الطريق للسائرين في دروب العربية.

الهوامش

1. سورة الأعلى: 18-19.
2. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين لسان العرب، 1307 هـ
3. جار الله محمود عمر الزمخشري 'أساس البلاغة، 1882 م
4. أحمد رضا 'معجم متن اللغة، 1959 م
5. عبد السلام خورشيد 'داستان صحافت، 1974 م
6. محمد خير الدرع 'معلم الصحافة والإنشاء والصحافة الحرة قلب الأمة الحافق، لم تذكر سنة الطباعة
7. أبو سلمان شاه جهانفوري 'أرمغان آزاد، لم تذكر سنة الطباعة
8. عتيق أحمد الصديقي 'هندوستانی أخبار نویسی کمبئی کی عہد میں، 1975 م

زين الدين مخدوم صاحب تحفة المجاهدين

(دراسة تحليلية وجيزة)

بشارت أحمد شاهين¹⁸

الملخص:

من الطبيعي أن يتأثر قوم بقوم في اللغة والثقافة وغيرها إذا كان بينهما نوع من علاقة واتصال، طبقا لاحتكاكات وتبادلات عبر القرون، ولعلك لا ترى قوما من الأقوام ما لا يوجد فيه أثر من آثار ما يجاور من الأقوام. وكلما كان هذا القانون وقد يبلغ التأثير فيها غاية البلوغ حتى يتغير أحيانا صورتها وهيئتها كما ترى التأثيرات اليونانية في اللغة الانجليزية والتأثيرات العربية في الفارسية والتركية. إن العلاقات والروابط بين العرب والهند قديمة جدا، ومن بين هذه العلاقات العلاقات التجارية والثقافية، وبها توثقت العلاقات بين دولتين و باحتكاك العرب بأهالي شبه القارة الهندية عن طريق التجارة جعل الصلة اللغوية قوية بين هذين شعبين، لأن التفاهم والتعامل بين شعبين مختلفين يقتضي الصلة اللغوية المتينة بينهما، وهذه الاحتكاكات والهجرة البشرية انتشرت اللغة العربية في شبه القارة الهندية وهي اثر في ثقافة المسلمي، ومع ذلك استوطنت اسر العرب كثيرة شبه القارة الهندية ومن بينها اسرة المخدوم.

وصلت أسرة المخدوم إلي شواطئ القارة الهندية من المعبر ببلاد الجنوبية في القرن التاسعة من الهجرة، توجهت هذه الأسرة إلي أماكن شتي لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها، فقد نزلوا أولا في جنوب الهند كيلكرا (kilallara) وكالبتنم (kayalpatanam) بمنطقة تملناد (Tamilnadu) ثم انتقلوا إلي سواحل كوشن (Kochin) ومن هناك إلي سواحل مليبار (مدينة فناني) التي استقر فيها، أسرة المخدوم الذين قدموا من المعبر "المعبر" تقع في جنوب بلدة الهند¹⁹، عندما هاجر أسرة المخدوم إلي المناطق الساحلية الشرقية في جنوب الهند كانوا يسميها لهذا المكان "معبر"²⁰.

¹⁸ باحث بكلية الدراسات العربية، قسم اللغة العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد.

¹⁹ معجم البلدان - ياقوت الحموي، ج 2، ص، 74، 1996م

²⁰ . Vo1.1 1991، Kerala Muslim History Statistics and Directory DrC.K.Kareem p537

وهذا الرأي توجد في كتاب الادب التراثي المسلمي ما بيل²¹ بلدة معبر واقعة في الجنوب الشرقي لساحل مليبار الهند، وهي معروفة عند المؤرخين العرب، كانت هي مركز ارتباد السفن التجارية للعرب في الهند، وهي بمثابة معبر رئيسي للسفن القادمة من سواحل الخليج العربي في طريقها إلى "سيلان" و"الصين" و"جارو" وغيرها من بلاد الشرق الأقصى، وكذلك استوطنت في شواطئها جاليات عربية منذ عصور قديمة وعلي أساس مركزها الجغرافي والاقتصادي عرف ملك بلاد معبر باسم (ديور) أي الغني، كما كانت لها علاقة تجارية وثقافية مع سائر جهات الهند. لما وصلت أسرة المخدم بمدينة فناني أسس المخدم الكبير أبو يحيى زين الدين علي أحمد المعبري المسجد الجامع الكبير فيها سنة 925هـ- الموافق 1510 م، لهذا لمسجد أربع طبقات واسعة، وبدأ فيها حلقات الدروس الدينية وتعليم القرآن ومجلس الرشيعة وغيرها، صار هذا المسجد مركزا للثقافة الدينية آنذاك، وفد العلماء والطلبة إلى هذا المسجد من بلاد شتي مثل الحجاز ومصر واندونشيا وغيرها، كان لهذا المسجد الكبير دور عظيم لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع كيرالا، تأثرت هذه الأعمال في قلوب عموم الناس كما اشار الدكتور إي.ك. أحمد كوتي "إنها لعبت دورا هاما فعالا في نشر الدعوة الإسلامية وترويج العلوم الدينية والعربية، لافي مليبار فقط بل في جنوب الهند كلها، وكانت هذه الأعمال والنشاطات العلمية والثقافية متركزة في المسجد الجامع الكبير الواقع بقلب فناني، وانتشر صيتها في طول البلاد الهندية وعرضها بل في خارج الهند ايضا، وكان يتعلم فيها إلى جانب الطلاب من أقطار الهند المختلفة طلاب أجانب من ملايو واندونشيا وجاوا وغيرها²².

نبذة عن حياة محمد الغزالي بن زين الدين المخدم.

هو الشيخ أحمد زين الدين ابن الشيخ محمد الغزالي ابن الشيخ زين الدين أبي يحيى زين الدين بن علي أحمد المعبري المليباري الفناني الشافعي يعرف "المخدم الثاني". ولد زين الدين المخدم الصغير بشومبال سنة 938هـ ولكن توجد آراء مختلفة عن ميلاده ووفاته، كتب المؤرخ ك.ك محمد عبد الكريم الكندوتي في مقدمة كتاب "تحفة المجاهدين" إنه ولد بشومبال²³ وسجل فيه أيضا انه وله بفناني، وكانت ولادته في فناني ببلاد مليبار²⁴.

يقول الدكتور محي الدين الألوائي في كتابه "ومن المؤسف جدا، أني لم أعثر بعد علي وثائق تدل علي تاريخ ميلاده أو وفاته، كما لم يسجل شيء من هذا القبيل في أي من مؤلفاته العديدة المطبوعة والمخطوطة.

²¹ . الادب التراثي المسلمي ما بيل س، ان، احمد مولوي ومحمد عبد الكريم. ك.ك. ص-138، كالكوت 1978

²² . مخاديم فناني ومساهماتهم في الأدب العربي، الدكتور 1، ك، احمد كوتي، ثقافة الهند، العدد، 1989، 40

²³ ،تحفة المجاهدين في بعض أخبار تغالين، لزين الدين المخدم،ص،9، كالكوت، 1996

²⁴ . تحفة المجاهدين في بعض اخبار البر تعالىين، قدمه وحققه وعلق عليه محمد سعيد الطريحي:ص،5،بيروت 1985

ولكن حسب القول الشائع بين العلماء في مليبار أنه ولد في مدينة "يوناني" ²⁵ كما أكد أيضا المؤرخ الأستاذ محمد علي مصليار نيلكت (Nellikuth) وكتابه "ولدين الدين الصغير بشومبال سنة 938هـ بقرب ماهي، ثم يشير أنه لم يصحل علي دلائل عن ميلاده زين الدين ووفاته وأسرته ²⁶ فغالبا الظن أنه ولد بفنان.

دراسته:

وتتلمذ مبادئ العلوم علي يد والده ²⁷، وكلاهما طمحا علي أن يحصل بالعلوم الدينية والثقافة الإسلامية، وحفظ القرآن عنده، ثم انتقل إلي فنان للدراسات العليا، والتحق بدرس عمه عبد العزيز المخدم، الذي كان مدرسا وخطيبا في المسجد الجامع الكبير، ولما حصل علي مبادئ العلوم ذهب إلي مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم وروضة الشريف. وزار في ذلك الفرصة أما كن التاريخية وجلس مع العلماء والأدباء الإجلال في ذلك العصر وتعرفهم والتزم معهم ونال منهم علوم مختلفة وفنون متعددة فاكسب العلم من مصدره الحقيقي، وقضي عشر سنوات في تلك الأرض المقدسة.

أساتذته:

إن زين مخدم الثاني ربط مع علماء المعاصرين رباطة علمية قوية واستمرت هذه الرابطة العلمية المبدوءة منذ ما يقرب من خمسمائة سنة والعلاقة الروحية الوطيدة تباعا في تلامذته وفي إتباعه بدون انقطاع وساعدهم علي امتداد تلك العلاقة العلمية والصلة الدينية الاتفاق السياسي المبرم بين الحكام المسلمين بولاية كيرالا وعلي رأسهم الشيخ الإسلام احمد بن حجر الهيثمي المكي المتوفي 973هـ والشيخ الإسلام عز الدين بن عبد العزيز الزمري المتوفي 976هـ والمفتي الحجاز وإلي من وجيه الدين عبد الرحمن بن زباد المتوفي 915هـ والعالم الكبير أبو الحسن الصديق البكري المتوفي 993هـ وورد هذه الحقيقة في كتاب "تحفة المجاهدين" وأخذ الأرادة عنه إذا ألبسه إحدي عشرة خرقة من قطعة من الثوب يعطيها الشيخ الصوفي مريده علامة لمشيخته) وفعلا ترقى الشيخ زين الدين إلي مربيه الشيخ للطريقة القادرية ²⁸ والعالم الجليل والمصنف القدير المفتي في مصر

²⁵ . الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، لدكتور محي الدين الآلواني، ص، 220، دار القلم، دمشق 1986

²⁶ . العظماء في مليالام لاسنا محمد علي مصليار، ص، 23، (ماليالام) كاليكوت، 1997

²⁷ . ولد محمد الغزالي المخدم في قرية فناني كان رجل سبق زمانه بميزة ومهارته وقدرته الفطرية وكان متضلعا من العلوم العقلية درس دراسة اتقان وإمعان راسخا في النحو والعلوم البلاغة والفقه وبارعا في المنطق وكان متضلعا في مذهب الشافعية وكان غاية في التواضع ولين العريقة ومجارات الطلبة والفقراء وغيرها ورئيسا للقضاة، مفتيا للشمال مليبار وإما وخطيبا في مسجد الجامع في قرية شومبال (Chempal) بقرب ماهي واستمر في وظيفته حتي توفي سنة 947هـ - لا يعرف له اثر في التأليف العربية.

²⁸ . تحفة المجاهدين في بعض اخبار البرتغاليين ، لزين الدين المخدم، ص، 9، كالكوت، 1996،

والشام الإمام عبد الله الحضرمي والإمامي عبد الرؤف بن يحيى والشيخ الإسلام السيد عبد الرحمن الصفوي وغيرهم.

وكانت له علاقة وثيقة مع علماء الهند أيضا، منهم السيد أبوبكر ابن سالم الحضرمي المتوفي 992هـ والشيخ أحمد بن سيد العيدروسي أحمد آباد المتوفي 1024هـ والعلامة السيد عبد القادر العيدروسي أحمد آباد المتوفي 1034هـ والإمام الملاعلي القارئ المتوفي 1014هـ صاحب شرح "المشكات" والعلامة القاضي عبد العزيز كالكوتي²⁹ المتوفي 1025هـ والشيخ عبد الوفي محمد علاء الدين المحسي كالكوتي المتوفي 1980هـ والشيخ قطب الزمان السيد شاحل الحميد ناغور المتوفي 977 هـ وغيرهم، وكانت له علاقة وطيدة مع السلاطين وسادة أئمة المسلمين، ومنهم سلطان أكبر شاه المتوفي 1014هـ وسلطان إبراهيم علي عادل شاه المتوفي 998هـ بيجابور وغيرهم، وله مكانة عالية عند ملك ليار"ساموتري" فقل إنه كان كاتب الرسائل التي أرسلها، ساموتري إلى الدول الإسلامية في اللغة العربية"³⁰.

نشاطاته:

وبعد عودته من مكة المكرمة بعد دراسة العليا وسلك إلى طريقة الوظيفة الدينية في المسجد الجامع الكبير بفناني، كان المسجد الجامع مركزا دينيا وثقافيا للأمة في ذلك الحين وكان العلماء يجيئون إليه والطلبة قاصدين العلوم الوافرة من شي أنحاء البلاد كحجاز، مصر، اندونشيا، جنوب شرقي آسيا وغيرها، زار المحدث المشهور الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي هذا المسجد الكبير يشير عنه سيعد الطريحي في كتابه "الذي قدم إلى الهند وأقام في بلاد مليبار ودرس فيها علم التفسير والحديث في جامع فناني الذي شيده زين الدين علي جد المصنف"³¹.

قضي زين الدين المخدم الثاني في هذا المسجد المعروف وثلثين سنة متتالية. وأثناء ذلك تناول أمور الناس والطلبة والزعماء والملوك وحل مشكلاتهم وأرشد إلى الصلاح والخير ودعا إلى كتاب الله وسنة الرسول الله صلي الله عليه وسلم أنه اتصل بعلماء الحرمين ومصر وعلي راسهم أستاذه الكبير الشيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي اتصالا علميا قويا واستمر هذا الاتصال العلمية المبدوءة منذ ما يقرب من خمسين سنة والعلاقة الروحية الوطيدة تباعا في تلاميذه وفي أتباعه بدون انقطاع وساعدهم علي امتداد تلك العلاقة العلمية والصلة الدينية والاتفاق السياسي المبرم بين حكام المسلمين بمليبار وبين حكام مصر الذين كانت الحجاز وماتبعها إدارتهم

²⁹. المرجع السابق، ص-41.

³⁰. مخاديم فناني، ومساهماتهم في الأدب العربي، لدكتور، ك، احمد كوتي، ثقافة الهند العدد 40، 1989.

³¹. تحفة المجاهدين في بعض احبار البر تغالين ، قدمه وحققه وعلق عليه محمد سعيد الطريحي:ص،6 بيروت 1985.

وان آلت رسميا ضمن الحكومت التركية العثمانية. واهتم زين الدين المخدم بأمور السياسية التي تنفع الناس والمجتمع معا واستخدم قوته السياسي ذد البرتغاليين الذين نزلوا في هذه التربة في عهد جده المخدم الاول المتوفي 1521م سنة 1498م. نجح في هذه الأهداف نجاحا تاما.

وفاة زين الدين المخدم الصغير:

لم يسجل المؤرخون تاريخ وفاة المخدم الثاني بالضبط. ولم يستطع المؤرخون أن يتفقوا علي تاريخ واحد. يقول المؤرخ المليباري محمد عبد الكريم في مقدمة تحفة المجاهدين عن وفاة تاريخه "تاريخ وفاة الشيخ زين الدين الثاني غير معروف بالضبط إلا أن العالم المعروف والمؤرخ المصري محمد عبد المنعم قد كتب في كتابه "تاريخ الاسلام في الهند" أن الشيخ زين الدين المخدم الثاني قد توفي 991هـ-وهذا مخالف لما كتب جورج زيدان في كتابه المشهور "تاريخ آداب اللغة الربيعية" أن الشيخ زين الدين توفي عام 978هـ³².

مؤلفاته العربية:

للشيخ زين الدين الثاني عدة كتب قيمة باللغة العربية ومنها

- (1) فتح المعين بشرح قرّة العين
- (2) قرّة العين بمهمات الدين
- (3) تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين
- (4) الأجوبة العجيبة عن الأسئلة الغربية
- (5) الجواهر في عقوبة أهل الكبار
- (6) إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد
- (7) شرح الصدور في أحوال الموت والقبور

كتابه:تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين:

هذا كتاب مشهور في مجال المقاومة والدفاع عن الأجانب الظالمين الذي تم تأليفه بيد العالم المشهور زين الدين بن الغزالي المخدم الثاني. كتاب وثيقة تاريخيه عن مجيء الإسلام إلى كيرالا والمسلمين في مليبار. وأول تصنيف عن تاريخ المسلمين الذين جاءوا إلى مليبار من بلاد العرب وتاريخ الاستعمار في الهند. والكتاب يفصل تفصيلا واضحا عن الأحوال، والعادات والاعتقادات والتقاليد للهندوس وسجل حوادث متعددة مهمة وظروف المجتمع وسلوكهم ونظرياتهم الفاسدة وذلك حول الأعوام 1583م، ويذكر عن نظام مجتمع كيرالا سياسيا

³². تحفة المجاهدين في بعض أخبار البر تغاليين لزين الدين المخدم الثاني كتب محمد عبد الكندوتي في مقدمته، ص، 11 كاليكوت.

واجتماعيا وعن الملك "ساموتري" في كاليكوت وقوته العسكرية ومساعدتهم مع الظرف علي البر تغاليين الأجانبين بطريقة المرتبطة.

وأهدي زين الدين المخدوم هذا الكتاب إلي السلطان علي الأول ابن إبراهيم عادل شاه³³. وكان من المجاهدين المقاومين للغزو ضد المعتدين المستعمرين البر تغاليين في الهند لما رأي زين الدين المخدوم بطولة هذا السلطان بدأ أن يثني عليه أطيّب الثناء ونري هذا في كتابه المشهور. "وجعلتها تحفة لحضرة أفخر السلاطين، وأكرم الخواقين، الذي جعل جهاد الكفرة قرة عينيه، وإلاء كلمة الله بالغزو قرط أذنه، أرصد نفسه الشريفة لنصر أهل الله، وهمته العلية لتدمير أعداء الله، محي دين الله، ماحي الكفر والضلال عن بلاد الله، الذي صير محبه العلماء والصلحاء بصب عينه، وإغاثة الغريا، والضعفاء مطمح نظره، مالك أزمة المعالي، حسنة الأيام والليالي، الفائز مع حداثة سنه بالسعادة الأبدية. والحائز مع كثرة حساده بالمفاخر السرمدية، الذي طبق أرجاه الوجود سير مكارم أياده، وعقب نواحيه شذا نفحات ذكر محاسنة والعمل الخالص النصوح، ذي الغزوات التي تليت آيات فتحها في المحافل والأمصار، المكرمات التي شاعت آثارها في الأقطار، الساعي في قطع دابر الكافرين، وإستيصال المبطلين، ناشر رايات العدل والإحسان، باسط أكف الفضل والامتنان، السلطان الأعظم، المظفر الآواه السلطان علي عادل شاه، رفع الله بعزه قواعد الدين وشيدها"³⁴.

وقد نال تحفة المجاهدين قبولاً حسناً وتقديراً عالياً في البلاد الشرقية والغربية، مما يدل علي ذلك أنه نقل كلياً أو جزئياً إلي كثير من اللغات العالمية واللغات الهندية شاع نسخه الخطية في جمعي أرجاء العالم طبع أولاً في "ليسوبو" (Lisbo) عاصمة البر تغال سنة 1898م. ونسخته موجودة في مكتبة الجامع الأزهر بمصر. وقد ترجمت هذا الكتاب إلي اللغات العالمية المختلفة.

سبب تأليف هذا الكتاب:

احتل الأجانبون علي هذه الأرض المقدسة علي طريق شاطئ البحر العربي وهدموا حضارة المسلمين وافتشلوا روابطهم حيث كانوا يعيشون بالأخوة مع آراء مختلفة دينية وكان هدفهم الرئيسي هو التملك المصادر الاقتصادية والمالية كما كان عاداتهم. نزل البر تغاليون أولاً علي الساحل مليبار بسيادة واسكودا غاما³⁵ في سنة 1498م لإكمال ونجد هذه الأقوال في كتاب تاريخ مسلمي كيرالا يكتب الكاتب المشهور بي بي ممد كويا يقول "نحن

³³ السلطان عادل شاه المعروف عادل الأول الملك الخامس من سلالة عادل شاهي مملكة بيبجاور في زمان (1489-1986م) اشتهر ملوك عادل شاهي باخلاقهم لمذهبهم الشافعي وتشجيعهم الفنون والآداب وبراعتهم في البناء أسس هذه الدولة (السلطنة) بيوسف عادل شاه في سنة 895هـ-1489م في جنوب الهند، وهو وصل إلي الهند من جمهورية الارانية.

³⁴ تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، لزين الدين الصغير، ص، 15، مكتبة الهدي كالكوت، 1996م

³⁵ المرجع السابق، ص-78.

نحب كل شعوب العالم، ماعدا المسلمين، لأنهم يحاولون دوما خيانتنا"³⁶. لما ثبت البر تغال في هذه الأرض المطمئنة حاولوا تجارتهم ومجدهم الاجتماعي العظيم وذكر الأستاذ أبوبكر محمد هذه الأفعال القبيحة عن ظلمهم ضد المسلمين في مقالته "أمر واسكودا غاما جنوده أن يهدم السفينة العائدة من مكة بالمسلمين الحجاج إلي ميناء فندرية، فأعطي أمره بمهاجمة السفينة وقتل المسلمين، ونهب كل مافيها من بضائع وأمتعته، وكانت السفينة محملة بالذهب وكثير من البضائع الثمينة، ولما هاجم البرتغاليون السفينة بدءوا ينهبون ويؤذون النساء توسل إليهم ركاب السفينة أن يتركوهم ولا يؤذوهم ويخلوا سبيلهم مقابل كل مافي السفينة من متاع. وسفينة أخرى مملوءة بالفلفل والبضائع الأخرى، وأصبحت السفينة كتلة ملتهبة من النار تعوم علي سطح البحر الهائج، وتعاليت صيحات المنكوبين ودعوتهم بالتكبير، وتضرعاتهم بالأدعية، والتصق الأفتال بالأمهات، فرفعن أطفالهن في أيديهن يتوسن بهم، للرحمة والرفقة، ولكن واسكودا غاما صب عليهم غضبه وأمر بقتلهم جميعا، وانقلبت السفينة إلي ساحة حرب بين الفريقين، وهجم المسلمون علي البر تغالين مكبرين ومهللين حتي استشهدوا جميعا، ومثل بهم البرتغاليون وقطعوا أجسامهم إربا إربا، ورموا بها إلي غور البحر"³⁷.

محتويات الكتاب تحفة المجاهدين:

- القسم الأول: بعض أحكام الجهاد وثوابه، والتحريض عليه
- القسم الثاني: في بدء ظهور الإسلام في ديار مليبار أورد المؤلف قصة الملك الذي اعتنق الإسلام وسافر إلي جزيرة العرب لمقابلة النبي العربي كما بين فيه تاريخ بداية إلي يهودية والمسيحية في الهند وأثبت فيه أن منطقة مليبار أول موطن في الهند وصلت إليه الأديان السماوية وملتقاها.
- القسم الثالث: في نبذة يسيرة من عادات كفرة مليبار
- القسم الرابع في وصول الإفرنج إلي بلاد مليبار وأفعالهم القبيحة وهذا القسم الرابع جعله علي أربعه عشر فصلا:
- الفصل الأول: بداية وصولهم إلي مليبار ووقوع الخلاف بينهم وبين السامري وبناء قلعتهم في كوشي وكنوروكولم وأخذهم بندركووة وتملكهم لها
- الفصل الثاني: في الإشارة إلي شيء من قبيح أفعالهم
- الفصل الثالث: في مصلحة السامري الإفرنج وبناءهم القلعة في كاليكوت

³⁶ . History of the Muslims of calicut P.P MammadKaoya Parappil.p53 Calicut.1994

³⁷ . مجلة آفاق الثقافة والتراث، لأستاذ أبوبكر محمد، العدد 174، كويت 1988

- الفصل الرابع: في سبب وقوع الحلاف بين السامري والإفرنج وفتح قلعة كاليكوت
 - الفصل الخامس: في بناء الإفرنج قلعتهم في شاليات وصلاح السامري معهم مرة ثانية
 - الفصل السادس: في صلاح السامري مع الإفرنج ثالثة
 - الفصل السابع: في صلاح السلطان- عادل شاه مع الإفرنج وإعطائه بنادر من بنادرهم لهم رحمه الله
 - الفصل الثامن: في وصول سليمان باشا إلي ديونواحيها
 - الفصل التاسع: في مصالحة السامر الأفرنج مرة رابعة
 - الفصل العاشر: في وقوع الحلاف بين السامري والإفرنج
 - الفصل الحادي عشر: في مصالحة السامري الإفرنج مرة خامسة
 - الفصل الثاني عشر: في سبب الاختلفا في السامري والإفرنج وخروج الغرباء المحاربهم
 - الفصل الثالث عشر: في حرب قلعة شاليات وفتحها
 - الفصل الرابع عشر: في بعض أحوال الإفرنج بعد فتح شاليات
- ترجماته:

ظهرت ترجمات كثيرة في اللغة الإنجليزية والبرتغالية واللاتينية والإفرنجية والألمانية والأسبانية والفارسية والأردية والمليامية وغيرها.

في اللغة الإنجليزية

- رولندسون(R.Rowiandson) في لندن سنة 1833م، في اللغة البرتغال
- الدكتور دافيدلويس David Lopes في ليسوبوسنة 1898م

اسم في اللغة البرتغالية Historia Dos Malabar Pap ZainudinPortugusesno
في اللغة الأردية

ترجم الأستاذ شمس الله القادري حيدرآبادي القسم الثاني إلي اللغة الأردية، وكتب أيضا تعليقات قيمة علي هذا الكتاب المشهور.

في اللغة المليامية

- المولوي موسان كوتي سنة 1936م
- ويلادين بنكاشيري سنة 1963م
- حمزة جيلا كودن سنة 1996م
- محمد علي مصليار سنة 2006م

دور الجامعات الحكومية في ارتفاع اللغة العربية في الهند

وسيم حسن راجا³⁸

إن اللغة العربية وآدابها ظلت وما زالت محط اهتمام المسلمين في الهند منذ القرون الماضية حتى يومنا هذا، وإنها لم تكن من اللغات الأجنبية عندهم والغريبة عليهم، وإن دراستها مستمرة في هذا البلد منذ أقدم العصور وهو أمر يشهد به عدد لا يحصى من المدارس العربية والمكاتب الإسلامية والكليات والجامعات الرسمية والأهلية في أنحاء الهند كلها، وإن للهند إسهامات جليلة في الدراسات العربية درساً وتدریساً، ونشراً وتأليفاً.

أما بالنسبة للجامعات العصرية فهي فتحت أبوابها للغات الأجنبية، ومنها اللغة العربية، وركزت على تدريس اللغة العربية كلغة وأدب وسياسة واقتصاد و دبلوماسية وتعزيز العلاقات مع الدول العربية وتوطيد الصلات الثقافية. هذا، ومن نافلة القول أن الجامعات الهندية لقد أنجبت أدباء ومؤلفين في القرنين الأخيرين من العصر الحديث، ولها حظ وافر في صيانة ونشروتنمية لغة الضاد في أنحاء الهند قاطبة.

وتدرس اللغة العربية في الوقت الحاضر في أكثر 25 جامعة وعدد لا بأس به من الكليات. ومن أهم الجامعات الحكومية التي يوجد بها قسم اللغة العربية وآدابها، وتدرس فيها اللغة العربية على مستوى البكالوريوس والماجستير في الفلسفة والدكتوراه هي جامعة عليجرا الإسلامية والجامعة المليية الإسلامية نيو دلهي وجامعة دلهي وجامعة جواهرلال نهرو وجامعة لكهنؤ وجامعة كاليكوت والجامعة العثمانية وجامعة اللغة الانجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد، وجامعة مومبائ وجامعة

³⁸ الباحث في الدكتوراه بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا اونتي بوره كشمير

كولكاتا وجامعة كشمير وجامعة مدراس والجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، اونتي بورة وجامعة بنارس الهندوسية وجامعة آسام وجامعة بركت الله بهوبال وجامعة بتنه وجامعة ناكبور وغيرها. ولهذه الجامعات كلها دور بارز في نشر اللغة العربية وآدابها. وفي ارتفاع هذه اللغة لها دور هام فهو كما يلي:

اولاً: لا شك أن المجلات العربية الصادرة من الجامعات في الهند قد أثرت تأثيراً بالغاً في ترقية اللغة العربية وتعميمها وانتشارها، أنشئت الجامعات مجلات عربية شارك فيها الأساتذة بكتابة المقالات حول قضايا علمية وأدبية واقتصادية ودبلوماسية وثقافية ومدنية واجتماعية وتكنولوجية وما إلى ذلك، فنظراً إلى أهميتها ساهمت الجامعات العصرية وأساتذتها في مجال الصحافة لتطوير اللغة العربية فأصدروا عدداً من المجلات العربية، ومنها: "المجمع العلمي العربي الهندي" الصادرة من القسم العربي بجامعة عليكره الإسلامية، ومجلة "ثقافة الهند" الصادرة من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بنيو دلهي، ومجلة "كاليكوت" الصادرة من قسم العربية بجامعة كاليكوت، ومجلة "كيرلا" من جامعة كيرلا، و"التنوير" من قسم العربية في كلية الآداب والفنون الاجتماعية بالجامعة العثمانية حيدر آباد، ومجلة "الدراسات العربية" الصادرة من قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينجر، ومجلة "حراء" الصادرة من دار العرب التعليمية والثقافية والإصلاحية والرفاهية في حيدر آباد، ومجلة "أقلام واعدة في الشعر والأدب" الصادرة من جمعية خيرية لأساتذة اللغة العربية في الجامعات الهندية بحيدرآباد، و"جريدة المعهد" الصادرة من جامعة معهد ملت، ملت نغر، ماليغاون، ناسك في ولاية مهاراشتر.³⁹

ثانياً: ومن مؤشرات التي قامت بها الجامعات الهندية اهتمامها بالمخطوطات العربية

³⁹. الصحافة العربية نشأتها وتطورها لسعيد الأعظمي الندوي ، ص 106

وتصحيحها وتنقيحها، وتهذيبها وتحقيقها حيث يزيد عددها على 55000 مخطوط عربي، وأهم الشخصية الهندية في هذا المجال هو الأستاذ عبد العزيز اليميني رحمه الله، فقد قام بتحقيق عديد من المخطوطات المنشورة في حيدرآباد، والقاهرة وأتبعه الأساتذة الذين لحقوا به في تلك الجامعة مثل الأستاذ مختار الدين أرزو، وجرى هذا الاتجاه في دائرة المعارف العثمانية التابعة للجامعة العثمانية بحيدرآباد أيضاً. فاعترف العالم بخدمات الدائرة في مجال المخطوطات العربية، ولا تزال الدائرة نشيطة في هذا المجال القيم والبديع.

ثالثاً: ومن ميزات الجامعات الهندية ترويج الدراسة العربية بين الهنود غير المسلمين، فكان الهنود يتخيلون عامة من قبل أن اللغة العربية هي لغة المسلمين ولغة القرآن فقط، لا صلة لها بالمعيشة، ولا تتصل بالمنافع والمصالح الدنيوية، ولكن عندما فتحت أبواب الجامعات العصرية وتم ترسيخ أقسام اللغة العربية فيها، وبدأت تدرس اللغة العربية كلغة حية نابضة بالحياة والسياسة والدبلوماسية والاقتصاد، وقصد غير المسلمين إلى الدراسة العربية وتفوقوا فيها وبرعوا حتى حصل بعض منهم على شهادة الدكتوراه وخدموا اللغة العربية وقاموا بتأليف كتب بهذه اللغة الكريمة، ومن أشهرهم الدكتور تشودھري الذي ألف كتاباً حول إحدى المدارس الأدبية وهي: "مدرسة الديوان" قام تشودھري باستعراض كل ما قدمت هذه المدرسة من الأفكار الأدبية والنظريات النقدية حتى يمكن الانتفاع والإفادة منها وتعم فائدتها في الأوساط العملية والأدبية في الهند وخارجها"⁴⁰

رابعاً: ولعبت الترجمة دوراً رناناً في ارتفاع اللغة العربية أيضاً في الهند، خاصة الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس، أو من اللغة الأردية إلى العربية وبالعكس، فإن الترجمة من الإنجليزية

⁴⁰ مساهمة الهند في النثر العربي في القرن العشرين، ص 143 للدكتور أشفاق أحمد الندوي

إلى العربية وبالعكس لم تكن إلا نادرة، ولهم دور ملموس في هذا المجال، خاصة في مجال السياسة والدبلوماسية والاقتصاد، توثيقا للصلات والعلاقات بين الهند والعرب، وبهذا الصدد توجد مساهمات كبيرة من الأساتذة. ومن أهم الكتب التي تم تأليفها في هذا المجال "فن الترجمة" للدكتور سيد إحسان الرحمن. ومن الجدير بالذكر أن هناك قائمة طويلة لأساتذة الجامعات الذين ساهموا في مجال الترجمة وقاموا بترجمة مقالات من العربية إلى الأردية وعكس ذلك، ومقالات من الإنجليزية إلى العربية وعكس ذلك، فإني أكتفي هنا بذكر من لهم مساهمة في ترجمة الكتب بصورة مستقلة، وأترك من لهم مساهمة في ترجمة المقالات، لأنه لا يسع هذا المقام. قام الدكتور محمد اجتباء الندوي-أستاذ جامعة إله آباد سابقا بترجمة كتاب من العربية إلى الأردية باسم "الإسلام والحقوق الإنسانية" ومن الأردية إلى العربية باسم "الصلاة وتأثيرها في حياة الإنسان الاجتماعية" والبروفيسور بدر الدين الحافظ بجامعة بنارس الهندوكية قام بترجمة القصتين العربيتين للأطفال من اللغة العربية إلى اللغة الأردية باسم "أنوكهي شرطين" إحداها من كتاب "نحفة اليمن" وثانيها من قصص الأديب الكامل الكيلاني.

ومن أهم الشخصيات في فن الترجمة الدكتور سيد إحسان الرحمن بجامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي، وله مؤلفات قيمة نموذجية في الترجمة، منها مجموعة من القصص الهندية القصيرة التي يبلغ عددها 21 قصة، قد اختارها المترجم من مختلف اللغات الهندية المحلية من التاميلية والبنجالية والغوجراتية والكشميرية والسندية والمانيبورية والأردية وغيرها من اللغات ونقلها إلى اللغة العربية الفصحى، يبلغ عدد صفحاتها 234 ونشرت من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية. ومنها ترجمة كتاب عن حياة جواهر لال نهرو، الذي ألفته الكاتبة رضية إسماعيل باللغة الانجليزية، فنقله الأستاذ إلى اللغة العربية بأسلوب جذاب رائع، يبلغ عدد صفحاته حوالي 132 الذي نشره المجلس

الهندي للعلاقات الثقافية. والرائد الآخر في هذا المجال الدكتور عبد الحق شجاعت على الذي له قصب سبق في مجال الترجمة، وله مكانة مرموقة بين المترجمين الهنود كما ونوعا، وقد اتسع مجال التراجم وشملت النواحي المختلفة من الأدب والتاريخ والفلسفة والتراث والسياسة، فأكتفي بذكر بعض تراجمه للكتب: 1. كتاب "Introducing India" لمؤلفه ح. إن. إس. رادها فان، الذي يشمل تاريخ الهند الإسلامي منذ البداية حتى عصر المؤلف، فقام الأستاذ بنقله إلى اللغة العربية ونشره المجلس الهندي للعلاقات الثقافية عام 1982 م. والكتاب الثاني هو "Vision of India" وهو مجموعة من المقالات لعديد من كبار الكتاب الهنود، مثل ففيكاناندا، وشري أروبندوغواش، ورادها كرشنان، ورابندرناط طيغور ومهاتما غاندي، وجواهر لال نهرو، ومولانا أبو الكلام آزاد، نقلها إلى اللغة العربية باسم "رؤيا الهند" نشرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية عام 1983 م. وقام بترجمة كتاب لمؤلفه رانجانا سين غويتا باسم "الهند في مسيرة التغير" يلقي الضوء على ما طرأ على الهند من التغييرات في مختلف المجالات، نشره دي بريس سيندسكيت ليميتيد نيودلهي. وهكذا ترجم 17 حكاية من كتاب "حكايات حارتنا" للأستاذ نجيب محفوظ إلى اللغة الأردية باسم "نجيب محفوظ كي كهانيون كي ترجمى"

ومن المولعين بالترجمة الدكتور فيضان الله الفاروقي، والدكتور محسن العثماني الندوي أستاذ جامعة اللغة الانجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد والبروفيسور نثاء الله أحمد الفاروقي وهو يعتبر من كبار أساتذة العربية المترجمين القديرين وله مساهمة فعالة في حقل الترجمة، والدكتور محمد سلطان محي الدين أستاذ القسم العربي بالجامعة العثمانية، والدكتور محمد عبد المجيد أستاذ قسم العربية بالجامعة العثمانية، والدكتور عبيد الله فهد الفلاحي أستاذ الدراسة الإسلامية في جامعة عليكراه، والدكتور محمد أسلم الإصلاحي نقل الإصلاحي مسرحيات توفيق الحكيم إلى اللغة

الأردية فنشرت ترجمة مسرحية "سليمان الحكيم" بنفس الاسم سنة 1982م ومسرحية "شهرزاد" ترجمها بنفس الاسم، كما ترجم مسرحية "أهل الكهف" فهذه التراجم كلها بأسلوب شيق. والدكتور شمس تبريز خان أستاذ القسم العربي في جامعة لكانا، مترجم قدير له خمسة كتب مترجمة من العربية إلى الإردية، والدكتور ثناء الله الندوي أستاذ لقسم العربية بالجامعة الإسلامية علي جرة، والدكتور شفيق أحمد خان الندوي أستاذ القسم العربي بالجامعة المليية الإسلامية دلهي، "والدكتور منظور أحمد خان أستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة كشميرسرينغر وترجم بعض قصص قصيرة كشميرية إلى اللغة العربية وسمى منتخبة ب"نافذة على كشمير" والدكتور شمس كمال أنجم ترجم كتباً عديدة في النقد والأدب لكبار أدباء العرب فمنها بعض مؤلفات شوقي ضيف".⁴¹

خامساً: إنَّ للهند إسهاماً كبيراً في تصنيف المعاجم والقواميس منذ القرون، وانضمَّ في هذه الطبقة أساتذة الجامعات أيضاً، وقد اشتهروا في هذا المجال العديد من الأساتذة مثلاً قام الدكتور سيد إحسان الرحمن، أستاذ قسم العربية بجامعة جواهرلال نهرو، بتأليف كتابين في المعاجم، أحدهما: "القاموس الهندي العربي" الذي نشره مطبعة من دلهي، والثاني: "A dictionary of English-Arabic abbreviation" والذي نشر من مطبعة وائز، دلهي في عام 2005م. والدكتور ويران محي الدين الفاروقي، أستاذ جامعة كاليكوت ألف قاموساً من اللغة العربية إلى اللغة المليالية في ثلاث مجلدات ضخمة ونشره مطبع عربيت. وقام الدكتور شفيق شيخ بقاموس معروف ب"English-Arabic for professionals" والذي نشره مطبعة جامعة اكسفورد. وهكذا السيدة فرهند أستاذة اللغة العربية في كلية الدفاع الهندية كتبت قاموساً من العربية إلى الإنجليزية. وهكذا للأساتذة الجامعات الهندية دور

⁴¹. مجلة الدراسات العربية، العدد الثاني عشر 2015، ص 67

مهم في تاريخ الأدب العربي وهناك كثير من الكتب كتبت في هذا المجال مثل تلخيص تاريخ أدب عربي" الملخص من تاريخ الأدب العربي لحسن الزيات، والكتاب الثاني هو للدكتور عبد الحليم الندوي في أربع مجلدات وهو: تاريخ أدب عربي-عصر جاهلي مي-وعصر إسلامي مي-وعصر عباسي مي-عصر حديث مي، والكتاب الثالث هو للدكتور مقتدر حسن الأزهرى "تاريخ أدب عربي" في أربعة مجلدات مقتصرًا على العصور الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية. والكتاب الرابع للأستاذ ضياء الحسن الندوي عن أدب المهجر "عربي أدب ديار غير مي" وألف الدكتور محمد يوسف كوكن العمري تاريخ الأدب العربي في اللغة العربية باسم "أعلام النثر والشعر" في ثلاث مجلدات ضخمة.

سادسا: وللجامعات الهندية دور بارز في ارتفاع اللغة العربية عبر الندوات والورشات وعقدت الجامعات الندوات حول الموضوعات المختلفة ووقّرت هذه الندوات والورشات العلمية فرصة للطلاب للتفاعل مع الأساتذة والخبراء الأجانب ومن ثم تعزز اللغة العربية.

وأخيرا وليس آخر: أن الجامعات الهندية أدخلت في مناهج تعليمية الدراسية اللغة العربية كلغة حية ولغة مفعمة بالحياة تسير ركب الزمان وتواكب موكب الحضارة والثقافة الحديثة، لا كما كان في ظن عامة الناس أن اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الإسلام والمسلمين ولغة القديسة فقط، ولا صلة لها بالحياة، ولا يمكن الحصول عليها إلا بعد تحمل الجهود وتكبد العناء الشديد. فنظروا إلى الأهمية الإستراتيجية جعل أساتذة الجامعات المقررات الدراسية سهلة ميسرة يمكن لأي رجل مسلما كان أو غير مسلم الحصول عليها، واعتمدوا فيها على تعلم اللغة العربية أكثر منه على تعلم القواعد، لأن الطالب يركز على تفهم القواعد تركيزا قد ينسى تطبيقها على التكلم. تحقيقا لهذا الغرض تم تأليف "اللغة العربية الوظيفية" بأيدي نخبة من أساتذة الجامعات، وعلى رأسهم، الدكتور شفيق أحمد خان الندوي والدكتورة سيدة فرحانة طيب صديقي، والدكتور حبيب

الله خان، فهذا المقرر الدراسي يركز على المحادثة باللغتين العربية والانجليزية وممارسة اللغة العربية الوظيفية والتضلع من التعابير الخاصة بوسائل الاتصالات المعاصرة والتدريب على الترجمة من العربية إلى الانجليزية وعكس ذلك.

يتجلى لنا أن الجامعات الهندية لعبت دورا بالغ الأهمية في الإرتفاع اللغة العربية في الهند وخارجها من خلال التدريس و التأليف في مجالات القواميس والمعاجم والترجمة والبحث و التحقيق و المخطوطات وتاريخ الأدب العربي وتنمية الدراسات الثقافية والحضارة الإسلامية والصحافة والمقالات وتعميم الدراسة العربية بين أبناء الوطن الهندوس. وفي وقتنا الحاضر يبذل أساتذة الجامعات جهدا كبيرا للحفاظ على اللغة العربية ونشرها وتطويرها في أصقاع الهند، كما يهتمون بتصنيف الكتب باللغة العربية نفسها بدلا من ترجمة الكتب العربية الى لغاتهم المحلية. فأسأل من الله تعالى أن يبارك في جهودهم وأن يجزيهم على ذلك خير الجزاء ويحفظهم من كل كيد ومكره.

المصادر المراجع

1. واقع اللغة العربية في الجامعات الهندية، ص:5-6 للدكتور إرشاد أحمد، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي عام 2005م.
2. الدراسات العربية في الجامعات الهندية لعبد الحق شجاعت علي
3. الصحافة العربية نشأتها وتطورها لسعيد الأعظمي الندوي
4. الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها، للدكتور أيوب تاج الدين، دار الهجرة، جامو وكشمير
5. مساهمة الهند في النثر العربي في القرن العشرين للدكتور أشفاق أحمد الندوي
6. إسهامات العلماء الهندوس في تنمية اللغة العربية في الهند للدكتور مظفر عالم، مطبع جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية-حيدر آباد، 2010م
7. المسلمون في الهند للعلامة الأستاذ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، دار ابن كثير-بيروت عام 1999م
8. الترجمة العربية في الهند بعد الاستقلال للأستاذ حبيب الله خان دار سليمان للطباعة والنشر-دلهي في عام 1997م

مساهمة علي الطنطاوي في الادب الاسلامي

42 السيد محمد امين بخاري

لا ريب في أن الأدب العربي مرّ بمراحل مختلفة ، وتطوّرت وتقدّمت وارتقت ، وتمهّدت طرق رقيها وازدهارها عبر العصور والدهور بالعناصر المختلفة من النزعات الجديدة والنزعات السياسية المتعارضة الجديدة والمطبعة والصحافة ومدارس الترجمة والنقل و المجامع الأدبية ، والأدباء البارعين الحاذقين الذين أوصلوا اللغة العربية وآدابها في التقدم والتطور إلى أقصى المدى .

فمنهم العلامة الشيخ "علي الطنطاوي" - أديب الفقهاء وفقه الأدباء - الذي قام بدور بارز ريادي مثالي في إثراء اللغة العربية وآدابها وإيصالها في التقدم والتطور إلى أقصى المدى ، وإضافة المكتبة الإسلامية بثروة علمية وأدبية .

ولد العلامة الشيخ "علي الطنطاوي" في أسرة علمية ، تتميز بالتمسك بالدين والسنة ، ونشأ وترعرع على الصلاح والتقوى ، وحصل على العلوم الإسلامية ، وبرع فيها ، ولا سيما في اللغة العربية وآدابها ، وقد أثر الأساتذة المهرة والشخصيات العملاقة ومكتبة عنبر تأثيراً للغاية في تكوين شخصيته العلمية والأدبية ، حتى طار صيته في كافة أرجاء المعمورة في الهند وغيرها بالمآثر الجليلة والأعمال الأدبية العلمية التي قام بها ، والجهود المكثفة والمحاولات الضخمة التي بذلها في تطعيم اللغة العربية وآدابها ، وإضافة المكتبات الإسلامية بثروة علمية وأدبية .

إن كل من له ذهن متقد وفكر سليم ليدرك أن الشيخ "علي الطنطاوي" كان من الأدباء

⁴² باحث بقسم اللغة العربية و آدابها، جامعة بركة الله ، بهوبال-

البارعين الحاذقين الذي يشار إليهم بالبنان لكثرة مآثرهم العلمية والأدبية وابتكاراتهم وإبداعاتهم الممتازة الفائقة التي تتميز بقوة الأسلوب وجيد السبك عظيمة الأثر، شديدة المفعول، ورصانة الأسلوب، وجزالة التعبير، وإن الشيخ كان من عباقرة الأدب والنقد، إنه كان يُعتبر عالماً بصيراً أديباً فذاً ومفكراً إسلامياً متكلماً بلغة العصر، وخطيباً مفوهاً بارعاً، ويتحدث عن القضايا المستحدثة، وإنه ترك أعمالاً جليلة متعددة الجوانب، وإنجازات قيمة نادرة، فإن له كتباً أدبية رائعة وبحوثاً ومقالات نقدية وعلمية لا تعد ولا تحصى، إنه كان حاملاً لواء الأدب الأصيل، الأدب الذي له علاقة وطيدة وصلة أكيدة عتيقة بالحياة البشرية جمعاء، فإنه اتخذته وسيلة للإصلاح والدعوة إلى الحق.

إن الشيخ علي الطنطاوي يعتبر من الذين مثلوا الأدب الإسلامي، فكانت كتاباته نموذجاً مثالياً للأدب الإسلامي الحق الذي يسخر أدبه وفكره ومواهبه لإيقاظ المجتمع وإنقاذه من الانحرافات الفرية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وكان قلمه يجري مجراه الطبيعي مهما كان الموضوع، حتى مثل هذا الأدب في تراجم الشخصيات العظيمة التي تعتبر عامة من الموضوعات اليابسة، هذا هو الأدب الإسلامي الأصيل الذي يدعو إليه الشيخ الإمام الطنطاوي في الالتزام الطوعي الذاتي دون ذلك الذي يفسد الإبداع الأدبي، ويحط من فنيته.

وتحدث الأستاذ "علي الطنطاوي" عن الحياة الأدبية في رأيه في الأدب في معرض رده على الأستاذ شفيق جبري الذي كان من دعاة الفن للفن، وكان قول الطنطاوي: "إن الأدب لا يجدى إن لم يكن أدب الحياة، ولا يكون أدب الحياة حتى يحكم صلته بها ويدخلها، فيعرف مواطن الخير فيها

فيدل عليها ، وأماكن الشر فينفر منها" (43)

وتناول الأستاذ علي الطنطاوي التوجيه الديني من جهة التحليل النفسي أكثر، ويكشف عن كثير من الممارسات الخاطئة لدى الدعاة أو المتدينين مما يلبس الشيطان فيه على الناس، وذلك من قبيل ما وضحه ابن الجوزي في كتابه "تلبيس إبليس" فيتحدث عن رمضان والصلاة والمشاعر التي تعترى المرء في عبادته كما نرى في النص التالي:

"تجوز الصحراء فلا ترى إلا أرضاً جرداء، لا ظل ولا ماء، ولا نبتة خضراء، فإذا نزل المطر اهتزت وربت ، وكسيت ثوباً أخضر من العشب والزهر، وصارت مرعى للسوائم ، ومتعة للنظر، فمن أين ترونه قد جاء هذا النبات؟ من بذور صغار قد لا تأخذها من دقتها الأبصار، قد ركب الله لبعضها ما يشبه الأجنحة القصار، تحملها الرياح فتلقها بين حبات الرمال، فلا ترى إلا تلالاً من الرمل تتلظى تحت وهج الشمس.

فإذا أنزل الله الأمطار، وجمع الله لها الظروف التي جعلها سبب الإنبات كان منها هذا النبات، وكان منه الزهر البارع ، والثمر اليانع ، أو كان منه الشوك الجارح، والسم الناقع . وكذلك كل ما تسمعه لاسيما إن سمعته في الصغر، إنه بذرة خير، أو بذرة شر إذا جاءها "الظرف المناسب" وضعتك على طريق الجنة، أو على سبيل النار" (44).

وينطلق أحياناً من المكان الخاص إلى التذكير بقيمة إيمانية ، وترسيخها عن طريق التشبيه ، كما نرى في قوله: "أما دارنا فقد ارتفعت من حارة الديمجية إلى جادة عريضة في الصالحية من بيت صغير، ظهره للشمس في بلد شتاؤها ستة أشهر.. إلى دار واسعة تحيها

⁴³ - ذكريات ج/2، ص : 206 .

⁴⁴ - ذكريات 74/1

الشمس ساعة بزوغها من وراء الأفق الشرقي البعيد ، وتودعها قبل أن تنزل من خلف الجبل ، فلا نحضر وداعها كما حضرنا استقبالها، وهذا من النعم لأن الاستقبال لذة ، والوداع ألم .

وهذه هي الدنيا علو وانخفاض ، وقوة وضعف ، نهار مضيء ، بعده ليل مظلم ، وشتاء باك بالمطر ، بعد هربيع ضاحك بالزهر ، لا يدوم على حال إلا الكبير المتعال..."⁽⁴⁵⁾.

وفي حديثه عن نهر بردى يمتزج الوصف الجغرافي بالاستقراء التاريخي والتعبير بوجدان متوهج عن قدرة الله وعظمته في خلق هذا النهر ".. وبردى؟ إنه سطر خطته يد الله على صحفة هذا الكون، ليقرأ فيه أولو البصائر فلسفة الحياة والموت، وروعة الماضي والمستقبل، واختص به العرب، فجمع فيه تاريخهم كله ببلاغة علوية معجزة. والله الذي جعل الآية المعجزة في القرآن، والذي جعلها في الأكوان ، والله الذي أعجز أئمة البلاغة وأئمة البيان بسور من آيات وكلمات وحروف ، والذي أعجز أرباب الفكر وأصحاب العقول بسور من بحار وأنهار وكهوف . وما "بردى" إلا سورة من قرآن الكون ، أجراه في الأرض الذي أنزل القرآن من السماء، وما إعجاز بردى في أنه يجري، فكل الأنهار تجري، ولكن في أنه ينطق، وأن في كل شبر فيه تاريخ حقبة من العصور، وقصة أمة من الأمم"⁽⁴⁶⁾.

ويتحدث الأستاذ "الطنطاوي" في ذكرياته عن مفهوم الأدب الإسلامي قائلاً: "ولا يزال في الناس من يختلط عليه أمر لتعريف الأدب الإسلامي ، ويدخل فيه كتابات إسلامية ليست أدباً ، وكتابات أدبية ليست موافقة للإسلام ، والذي أفهمه أنا بذهني الكليل وفهمي القليل أن الأدب الإسلامي هو ما كان أدباً مستكماً شرائطه ، جامعاً عناصره ، سواء كان ذلك قصيدة أم كان

⁴⁵ - ذكريات 89/1.

⁴⁶ - ذكريات 242/2.

قصة ، أم كان مسرحية ، أم كان رواية ، فالشرط أن تكون بالميزان الأدبي راجحة لا مرجوحة ، وأن يكون الأثر الذي تركه في نفس قارئها إذا انتهى منها . تفسير آية ، فهذا كله ليس أدباً ، وإن كان شيئاً أغلى وأثمن وأعلى من الأدب (47) .

ويحرض الطلاب على مواصلة الدراسة والمطالعة وتنظيم الوقت والاستعداد للامتحان ، والنوم باكراً والاستيقاظ باكراً ، وطالبهم بالمواظبة على طاعة الله وترك المعاصي ، فإن ذلك يعين على تحصيل العلم ، والأساليب التربوية التي استخدمها الأستاذ علي الطنطاوي فقد تجلت في ضرب الأمثال وإيراد الحجج والبراهين وسرد القصص الاجتماعية الواقعية وسرد القصص التاريخية وأسلوب الحوار والاستجواب ، وهنا أقدم دليلاً على هذا من كتابه "تعريف عام بدين الإسلام" وإنه مليئ بالحجج والبراهين وضرب الأمثال ، وكل هذه الأصناف التي ذكرها علي الطنطاوي في ضوء الأدب الإسلامي ، وله دور كبير وجهد مشكور في سبيل تطوير الأدب الإسلامي أيضاً .

إن الشيخ علي الطنطاوي يأتي بالأدب الإسلامي في تراجم كبار الشخصيات ، كما يظهر مما كتب في الإمام الأكبر فضيلة العلامة النعمان بن الثابت أبي حنيفة رحمه الله ، فيقول الإمام الأديب الطنطاوي عن هذا الإمام :

"تدخلون الجامع الأموي فترون المحراب الحنفي ، ومحراب الشافعي ، وتستفتون الشيخ في المسألة فيقول لكم : الحكم في المذهب الحنفي كذا ، والحكم في المذهب الشافعي ، وتسألون الرجل عن مذهبه ، فيقول لكم : مذهبي حنفي أو شافعي أو مالكي أو حنبلي ، فإن لم يكن له

⁴⁷ - مقالات في كلمات ، ص : 1 ، ذكريات: 6/ 115 .

مذهب من هذه المذاهب الأربعة تشكون في دينه لأنكم لا تتصورون مسلماً لا يتبع واحداً من هذه المذاهب الأربعة ولكن القليل منكم من يعرف من أصحاب هذه المذاهب ، وأقل منهم من يعرف ما هذه المذاهب ، وما مكانتها من الإسلام . ولست أدعى أنني من أصحاب الكرامات والخوارق ، حتى أفهمكم ذلك كله في عشر دقائق ، لا أملك غيرها ، وإذا عطلت وسرقت شيئاً من وقت غيبي فإنما أسرق ثلاث دقائق أو أربع ، وهي لا تكفى لشيء ، لذلك اعتذر إليكم إذا أنا لم استطع أن أعرض عليكم من هذه اللوحة الضخمة إلا الخطوط الكبرى ، على أنني (ولا آمن عليكم) قد تعبت في هذه المحاضرة القصيرة ، أكبر من تعبي لو ألفت في موضوعها كتاباً .

لا تنتظروا مني الليلة قصة مسلية أو خطبة مدوية ، لا إنه درس ، درس علمي هادئ وربّ درس أنفع من خطبة .

يا أيها السامعون ! إن القانون اليوم مطبوع منشور يصل إلى يد كل فرد من الأمة ، ولكن لا يفهمه كل فرد لذلك توكل محامياً إن كانت لك الدعوى ، لأن المحامي قد تفرغ لدرس القانون ، وانقطع لذلك ويحضر المحامي الجلسة ، ويفسّر مادة القانون تفسيراً يؤيد دعواه ، فيأتي محامي الخصم فيفسرها تفسيراً آخر والمحكمة تقبل أحد التفسيرين ، أو تجيء بتفسير ثالث ، والمحكمة التي فوقها تفسرها تفسيراً رابعاً ، ثم تأتي محكمة التمييز بتفسير للمادة ، تجنح المحاكم إلى الأخذ به واعتباره هو التفسير الصحيح ، فأنتم ترون أن المادة القانونية واحدة ، ولكن تعددت تفاسيرها واختلف الحكم المستنبط منها ، وكذلك الحال في أدلة الأحكام الشرعية.

نحن نرى أناساً يتركون اجتهاد محكمة التمييز في القانون ، ويفسرونه كما يريدون ، ولو لم يكونوا من أهل العلم والفهم ، ومثلهم من يترك المذاهب ويحاول أن يأخذ من الكتاب والسنة من غير أن يبلغ درجة الأئمة الأولين ، أو يفهم فهمهم مكتفياً بأنه نظر في كتب الحديث ، وصار

يعرف رجالها ودرجاتها .

ونحن المسلمين ، قانوننا هو القرآن ، وشرحه الرسمي هو الحديث ، ومذكرته الإيضاحية أسباب النزول والتفسير ، فمن الناس من لم يشتغل بالعلم ، فهو لا يستطيع أن يفهم الحكم من القرآن والحديث ، فيرجع إلى المختصين كما رجعت عند إقامة الدعوى إلى المحامي ، والمختصون (وهم العلماء المجتهدون) يختلفون في الفهم والتفسير ، وهذا شيء طبيعي كما أن التقليد الطبيعي ، إذ أن من الناس من ينقطع إلى علم من العلوم فيجتهد فيه ، ويقلد في غيره ، فنحن نقلد الأطباء والمهندسين ونأخذ بأقوالهم ، بلا وقوف على دليلها ، حتى أن الصحابة أنفسهم كان أكثرهم مقلدين ، ولم يكن يفتي فيهم إلا عدد قليل ، ولكنها لم تجمع فتاواهم ولا فتاوى التابعين لهم ، وأول من انقطع للفتوى والاستنباط ، وجمعت أقواله وتعدد أصحابه حتى صارت له مدرسة أو مذهب هو أبو حنيفة.

يا سادة : كان في العراق شاب جميل غني ، اسمه "ثابت بن النعمان" فارسي الأصل ، تقي ورع ، كان يتوضأ يوماً من النهر ، فرأى تفاحة فأكلها ثم خاف أن يكون أكلها حراماً ، فبحث عن شجرتها حتى وصل إلى صاحبها ، فقال له : سامحني فعرفه الرجل ، وقال : لا أسامحك إلا بشرط ، هو أن الدنيا موقوتة ، وأن عذابها بهذا الزواج أيسر من عذاب الآخرة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد قبلت .

فزوجه بها ، فلما دخل عليها وجد فتاة كأنها القمر ، ذات فهم ودين ، فقال لأبيها لم قلت إنها عمياء صمياء خرساء قال : لأنها لم تر الرجال ولم تسمعهم ولم تتكلمهم .

ومن هذين الزوجين الصالحين الجميلين الغنيين ولد صبي قدر له أن يكون له جمالها وتقاهما ، وأن يكون آية الآيات ، وأعجوبة الدنيا في الذكاء والعلم ، هو "النعمان بن ثابت" هذا

اسمه ، أما "أبوحنيفة" فكنيته ، ولم يكن له بنت اسمها حنيفة ، ولكن الحنيفة الدواة بلغة العراق ، كنوه بذلك لحمله الدواء من صغره ، ودورانه على العلماء ، كذا قالوا الله أعلم .

ونشأ مرفها مدلاً ، أنيق الثوب ، عطر الأردن ، وكان تاجراً كبيراً يبيع الخبز وكان ورعاً متعبداً بقي عشرين سنة ، كما رووا يصلي الصبح بوضوء العشاء ، ويبكي من خشية الله ، وكان كريماً سامح مرة بعشرة آلاف ، وسألوه مرة عوناً لعالم مدين بأربعة آلاف فأدى كلها ، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وكان يجري رواتب على كثير من العلماء ، فهو رجل أوتي الدنيا والآخرة ، والعلم والعمل ، والغنى والكرم ، مثله في ذلك مثل "ليث بن سعد" ، كان كثير الاجتماع بالعلماء ، والأخذ عنهم ، أدرك أربعة من الصحابة ، وآلاف من التابعين ، واشتغل أول أمره بعلم الكلام حتى صار المقدم فيه ، لا يقوم له أحد في المناظرة حتى وقعت له واقعة صرفته إلى الفقه وهو أشرف العلوم ، وهو لب الدين ، وما التوحيد والحديث والتفسير إلا مقدمات له كشروح القانون ، أما الدين فهو الفقه ، وهذا الواقعة أن امرأة سألته عن مسألة في الطلاق فلم يعرفها ، فدلها "على حماد بن أبي سليمان" فقيه العصر ، وقال لها : سليه وأخبريني ، فلما أخبرته لزمه ، ولم يعد يفارقه ، لزمه عشر سنين ، ثم نازعته نفسه الرياسة ، وأن تكون له مدرسة مستقلة ، ولكنه أبى إجلالاً لحماد ، وغاب حماد غيبة ، فقعد مكانه ، فأفتى في شهرين في ستين مسألة ، فلما رجع أقر على أربعين وخالفه في عشرين ، فلزمه حتى مات ، ولما مات فتشوا عمن يلي مكانه ، فقدموا ابنه ولكن الأدب كان أغلب عليه فلم يقم به ، فقدموا شيخاً من أصحابه ، يقال له "موسى بن أبي كثير" فلم يقم به ، وخافوا أن تنحل حلقة حماد ، فقالوا : لو قدمتم هذا الفتى الخزاز ، فقدموا "أبا حنيفة" فنهض بها حتى جعل هذه الحلقة مدرسة باقية ، ومذهباً خالداً أبداً الدهر .

اجتمع حوله طائفة من التلاميذ صاروا بعد أعلام الدنيا ، وكان كل واحد منهم مختصاً بناحية ، فإذا وردت مسألة بحثوا فيها وتناقشوا ، وقد يبحثون المسألة شهراً حتى يتجه لهم الحكم فيها ، فكان مجلسه (برلماناً) ولكن أعضائه من نوابغ الباهر ، سأل "وكيع بن الجراح" وهو شيخ الشافعي : هل أخطأ "أبو حنيفة"؟ قال : كيف يقدر أبو حنيفة أن يخطئ وعنده مثل "أبي يوسف" و"زفر" و"محمد" في قياسهم واجتهادهم ، ومثل "يحيى بن زكريا" و"حفص بن غياث" و"حيان" و"مندل" في حفظهم للحديث ومعرفتهم ، و"القاسم بن معن" في معرفته باللغة العربية ، و"داود الطائي" و"الفضيل بن عياض" في زهدهما وورعهما ، هؤلاء أمثالهم (أعضاء البرلمان الحنفي) وهذا ما يمتاز به مذهب الحنفية عن المذاهب الأخرى ، وهو أول من رتب الفقه في أبواب ، و"مالك" إنما سار على غراره في المؤطا" (48).

المراجع والمصادر

1. ذكريات : للشيخ علي الطنطاوي، المطبعة دار المنار للنشر جدة ، سنة 1989 م .
2. رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، دار المنار للنشر والتوزيع ، جدة سنة 1958 م .
3. علي الطنطاوي أديب الفقهاء فقيه الأدباء، مجاهد مامون ديرانية، دار القلم بدمشق ط:1، سنة 1421 هـ .
4. مقالات في كلمات، علي الطنطاوي دار المنارة بجدة ، السعودية ، ط :2، سنة 1991 م .
5. المقال : علي الطنطاوي حياته وأثاره ، د/ شير أفغن الندوي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه سنة 2003 م ، جامعة لكناؤ (الهند)
6. مختارات من أدب العرب، للشيخ الندوي، مطبعة المجمع العلمي الإسلامي 2008 م.
7. قصص من الحياة، علي الطنطاوي، دار المنارة بجدة السعودية سنة 1980 م
8. علي الطنطاوي وأعلام عصره ، رائد الدمهوري، دار النشر بالمنصورة .
9. فصول إسلامية ، علي الطنطاوي دار المنار بجدة ، السعودية سنة 1997 م .
10. مجلة رابطة الأدب الإسلامي ، ج/9، ع3534، سنة 2002 م

⁴⁸ - رجال من التاريخ ، ص: 102. 107.

ترميز خانات العقل في فهم مفردات اللغة العربية للطلاب الناطقين بغير العربية

محمد علي الخولي⁴⁹

خلاصة البحث

يتعامل العقل البشري مع اللغات بأسلوب منطقي خاص، حيث تسلك اللغة في العقل البشري مساراً مرمّزاً بمنطق دقيق، وتتم عملية تخزين الكلمات في الذاكرة البشرية في خانات عصبية مرمّزة. في هذا البحث تحليل لمنهجية العقل في التعامل مع رموز اللغة العربية، ودراسة لبنية العقل اللغوي، من خلال عرض لبعض ظواهر فقه اللغة، التي تعتبر النواة الأساسية في فهم اللغة العربية، كما يدرج البحث أقوال العلماء والباحثين في الوقت الحاضر حول العقل وبناء الذاكرة. قام الباحث باستبيان آراء 73 معلماً من معلمي اللغة العربية في الجامعات التركية، للوصول إلى نظرة تجريبية لأهمية ظواهر فقه اللغة العربية في بناء العقل، وتوسيع الذاكرة عند طالب اللغة العربية الناطق بغيرها.

الكلمات المفتاحية: ترميز العقل، خانات العقل،

أدبيات البحث

اعتنت العديد من الدراسات والأبحاث بتعليم المفردات من جوانب عديدة، وأذكر فيما يلي هذه الدراسات ثم أورد التعليق عليها.

دراسة مدكور (1991)

عرض الباحث في جوانب متفرقة من كتابه لتعليم المفردات، فعند ذكر المتون القرائية مثلاً، ذكر " بأن الصفحة يجب أن لا تزيد الكلمات الجديدة فيها عن كلمتين أو ثلاثة على الأكثر، وأن تتكرر هذه الكلمات بما لا يقل عن 15 مرة، بعد تقديمها لأول مرة. وينبغي هنا أن ندرك أن الإكثار من الكلمات الجديدة بما يفوق طاقة التلميذ يصرفه عن المعنى والاهتمام به" (مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، 1991)

دراسة الخولي

اهتم الخولي في كتابه (أساليب تدريس اللغة العربية) بأساليب تقديم معنى المفردات، وقدم للمعلمين

⁴⁹ المحاضر بجامعة اسطنبول ايدن، تركيا malialkholi@aydin.edu.tr

العديد من الوسائل الميسرة في تعليم المفردات، حيث ذكر من الوسائل:

- أ. الاقتران المباشر: يجري هنا توضيح معنى الكلمة الجديدة، عن طريق اقترانها بما تدل عليه مباشرة.
- ب. الصورة: إذا كان من غير الممكن إحضار الشيء ذاته، أو المدلول عليه ذاته إلى غرفة الصف فمن الممكن استخدام صورته لتوضيح معنى الكلمة.
- ت. التمثيل: بعض الكلمات يستحسن توضيح معناها بالحركة، وخاصة إذا كانت الكلمات أفعالاً.
- ث. السياق: من الممكن توضيح معنى الكلمة إذا وضعناها في سياق لغوي يؤدي إلى كشف معناها.
- ج. الترادف: في بعض الحالات، يتضح معنى الكلمة إذا ذكرنا كلمة ترادفها في المعنى وتمائلها في الوظيفة النحوية، بشرط أن تكون هذه الكلمة مألوفة لدى الطالب.
- ح. التضاد: من الممكن توضيح معنى كلمة بذكر كلمة مضادة لها مماثلة لها في الوظيفة النحوية، بشرط أن تكون هذه الكلمة مألوفة لدى الطالب.
- خ. التعريف: من الممكن شرح بعض الكلمات عن طريق التعريف.
- د. الترجمة: من الممكن شرح بعض الكلمات عن طريق ترجمتها إلى اللغة الأم التي يتقنها الطالب.

(الخولي، 1986)

دراسة رسلان (1985)

هدفت الدراسة إلى بناء برنامج متدرج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من الطلاب الوافدين من منطقة جنوب آسيا ، وقد حدد فيها الباحث متطلبات إعداد البرنامج ومكوناته التي يمكن أن تحقق الأهداف المنوطة به ، ثم معرفة مدى فعالية هذا البرنامج عن طريق بناء اختبار تحصيلي يقيس مدى فعالية البرنامج المقترح. (رسلان، 1985)

دراسة الضامن (1995)

"بعد إجراء التحليل الإحصائي لشيوع الكلمات، يمكننا أن نقرر الكلمات التي تختار في المقرر، وقد ثبت أن العدد المطلوب لبناء مقرر في تعليم اللغة قليل جداً، يكفي للاستعمال في كثير من الموضوعات. فقد دلت إحصائيات الشيوع التي أجريت في لغات كثيرة أن الألف كلمة الأكثر شيوعاً تمثل 94% من النص، وأن المائة كلمة الأكثر شيوعاً تمثل 74% منه. وهذا برهان على ضرورة الأخذ بهذا المنهج قبل اختيار المحتوى وإلا فإن المتعلم يستنفد جهده في تعلم كلمات كثيرة لا يحتاج إلى استعمالها إلا نادراً، على حين يجهل الكلمات التي يحتاجها دائماً" (الراجحي، 1995)

يبين قول الضامن الاهتمام بشيوع الكلمات، أي اختيار الكلمة المفيدة للتعلم وفق تواتر نشاطها، وبالتالي تقدم المفردات للمتعلّم بعد معالجتها وفق هذا المحدد، وقد ذكر الضامن أربعة معايير موضوعية لاختيار الكلمة، وهي كمايلي:

- 1- الشيوع: وهو أهم معيار في اختيار الكلمة، إذ كلما كانت الكلمة أكثر استعمالاً كانت أنفع وأصلح في تعليم اللغة. وقد جرت دراسات الشيوع - في الإغلب - على مستوى الكلمة.
- 2- التوزيع: ويقصد به مدى استعمال الكلمة في المجالات المختلفة. إذ إن هناك كلمات لها انتشار واسع في غير مجال، ومثل هذه الكلمات أنفع في تعليم اللغة لا جدال.
- 3- قابلية الاستدعاء: هناك كلمات في اللغة يسهل عليك أن تتذكرها دون عناء، ويسهل عليك أن تستدعيها حين يخطر على بالك موضوع ما، أو تذكر أمامك مسألة ما.
- 4- المعيار النفسي والتعلّيمي: قابلية الكلمة للتعلم بألا يصعب على المتعلم أن يتعلّمها، وقابليتها للتعليم بألا يصعب على المتعلّم تعليمها في يسر. (الراجحي، 1995)

دراسة البب (2010)

درس الباحث في هذه الدراسة "عددًا من الظواهر الصوتية التي وقف عليها سيوييه في الكتاب، وهي ظواهر بين الصّوت والسياق، إلا أن تصنيفها صوتيًا أقرب من تصنيفها سياقياً" (البب، 2010) وهذه الظواهر اللغوية هي الوقف، والإمالة، والإعلال والإبدال، لكنّ الدراسة لم توجه لتعليم المفردات، إنما لوصف الظواهر في المفردات.

دراسة صيني والأمين (1982)

ذكر الباحثان في كتاب التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء المفردات، لكن ذكرهم للمفردات كان للمقارنة بين اللغات والثقافات، "فمن المفردات ما يستعمل للتعبير عن وظائف نحوية، ومنها ما يستعمل بدائل لكلمات أخرى، ولها جميعاً معان واستعمالات مختلفة. ونسبة لضخامة عدد المفردات في أية لغة من اللغات كان لا بد من اختيار عينة منها للاختبار، إذ لا يمكن استخدامها جميعاً لهذا الغرض." (الأمين و صيني، 1982)

قائمة مكة للمفردات الشائعة (جامعة أم القرى)

وهي قائمة قام بعملها نخبة من الباحثين في المعهد استعانت في عملها بعدة قوائم مثل قائمة الرياض ، وقائمة معهد الخرطوم ، وقائمة جامعة ميتشغان ، والقاهرة ، والرصيد اللغوي الوظيفي للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائي ، بالإضافة إلى استبيان رشدي طعيمة ومحمود حجازي.

دراسة شعبان غزالة (1987)

هدفت الدراسة إلى بناء منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المبعوثين للدراسة بالأزهر في المرحلة التأهيلية للدراسات الخاصة ، وتطلب ذلك وضع الأهداف التعليمية للمنهج المقترح وكذلك المحتوى المناسب ، واقتراح الطريقة المناسبة لتدريس البرنامج ، ثم تطبيق البرنامج المقترح على عينة من الطلاب المبعوثين بجامعة الأزهر وأظهر البرنامج فاعليته في تحسين أداء الطلاب في اللغة العربية. (غزالة، 1987)

التعليق على الدراسات السابقة

تعليم المفردات هو الجزء الأهم في بناء ذاكرة الطالب الناطق بغير العربية، وهو الخطوة الأولى لتهيئة العقل إلى تقبل اللغة والتمرس فيها، ولذا اهتم العديد من الباحثين والكتّاب بتعليم المفردات، واعتنوا بها بالبحث والفحص والتمحيص، ومنهم من أخذها على وجه الإرسال، فاعتنى بالمضمون اللغوي، وتبسيطه من خلال المناهج والكتب الدراسية، وإعداد أوراق عمل للطلاب تنطوي على تبسيط المفردات وتسهيلها، كما اعتنى هذا الفريق بجمع مفردات اللغة العربية في قوائم مرتبة بحسب المستويات المعتمدة عالميًا، وكانت جهودهم تصب كلها في المحتوى والمضمون اللغوي.

والفريق الآخر من الباحثين قام على إعداد المعلم، فشرع في البحث عن الأسلوب الأمضى والأفضل لتعليم المفردات، توفيرًا للوقت والجهد، وجاءت العديد من الكتب في الألعاب اللغوية، وأساليب التعليم وطرقه، تركز على الحصيلة اللغوية عند الطالب من مفردات اللغة.

والفريق الثالث اعتنى بالمستقبل، أقصد الطالب نفسه، فتناول في بحثه الجانب النفسي للتعليم، وتعامل الذاكرة البشرية مع مفردات اللغة، وكيفية تهيئة الطالب لاستقبال المفردات على الشكل الأمثل.

موقع هذه الدراسة من الدراسات السابقة

اعتنت هذه الدراسة بالمحاور الثلاثة في تعليم المفردات، إذ اهتمت بالمحتوى التعليمي، وتصنيف المفردات نفسها، من حيث ربطها بترميز معين يقابل الترميز العقلي، واهتمت بأسلوب تعليم المفردات وذلك بتنمية مواهب المعلم في إطار التعليم الفقه لغوي، وتمليكه أسلوب التعليم الذي يعتمد على تطوير مفردات الطالب من خلال تسلسل أحداث العملية التعليمية متزامنة مع التدرج في فقه اللغة والتصنيف والتبسيط، كما اهتمت الدراسة بالمحور الثالث وهو الطالب، فملّكته فهمًا معينًا على حفظ الكلمات وتخزينها في الذاكرة.

نظام العقل الإنساني

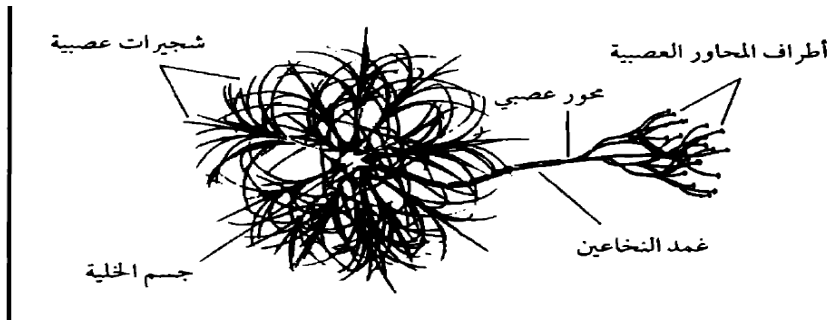
"يتكون المخ من مليارات الخلايا العصبية ، التي تتواصل مع بعضها البعض، بواسطة إشارة كهربائية

ومواد كيميائية، موجودة في المخ، تعرف بالناقلات العصبية، وتنتقل هذه الإشارات الكهربيّة، خلال خطوط متفرعة تعرف باسم المحاور العصبية، والشجيرات العصبية، ويخرج محور عصبي طويل من كل خلية عصبية، ثم ينقسم إلى العديد من التفرعات، بعد ذلك تتشابه هذه التفرعات مع الشجيرات العصبية الخاصة بالخلايا العصبية الأخرى، وتجدر الإشارة إلى أن الخلية العصبية تحتوي على الكثير من الشجيرات العصبية، لذا فإنها تبدو مثل الفرشاة، كما أنها تشكل تسعة أعشار سطح خلايا المخ.

وتعرف الروابط الموجودة بين المحاور العصبية والشجيرات العصبية، باسم نقاط التشابك العصبية، والتي تعمل كمفاتيح فتح وإغلاق، فعندما تصل الإشارة الكهربية إلى نهاية المحور العصبي، يتم إطلاق ناقل عصبي في نقطة التشابك العصبية، مما يؤدي إلى إطلاق - أو إيقاف إذا كان يعمل كمفتاح إغلاق - إشارة في الشجيرة العصبية المتصل بها، وعندما تصل إلى الخلية العصبية مجموعة كافية من الإشارات، تطلق إشارة خاصة بها، وهذه الطريقة تنتقل موجات الإشارات خلال المخ، آلاف المرات بالدقيقة، وتتحكم في الحركة، وتعمل على معالجة البيانات". (فوردرمان، 2007)

يوضح فوردرمان أسلوب عمل العقل البشري، وذلك أن الخلايا في العقل مرتبطة مع بعضها بسيالة عصبية، وهذه السيالة هي الناقل للبيانات إل الخلايا، وتوزع الخلايا بحسب الترميز الذي يصنعه الدماغ، ومن هنا تأتي أهمية القدرة على تنظيم خلايا الدماغ، وفق ترميز مناسب للغة، لأن العقل سيتعامل مع اللغة وفق ما يدركه من ترميز جامع للمجموعات، يعني أن الإنسان إذا أعطى العقل عدة بيانات لحفظها، فإن العقل سيبحث عن الروابط المشتركة ليحجز خانات ذات ارتباط ما، فإن قدر الإنسان أن يتحكم بالروابط، ويعرف العلاقة بين البيانات التي ستسلك مع السيالة العصبية طريقها إلى الذاكرة، سيعطي العقل منهجية ثابتة تسرع من السيالة العصبية، وتعطي الدماغ وقتاً فائضاً كان يضيع في تحليل البيانات المختلفة والبحث عن روابطها.

رسم توضيحي 1 تركيب الخلية العصبية



المعالجة العقلية لرموز اللغة

تمتاز اللغة بطبيعة رمزية، واستخدامنا لأصوات اللغة هو ترميز للأشياء والأحداث الموجودة في محيطنا، أو ترميز للأفكار الدالة على ذلك المحيط.

"فكلمة يقرأ، على سبيل المثال، ترمز إلى النشاط الذي تقوم به أنت مع هذا الكتاب في هذه اللحظة. ومع ذلك لا يوجد شيء في طبيعة كلمة يقرأ يربطها بالعمل الذي تقوم به الآن. والكلمة العربية لهذا العمل (القراءة) كان من الممكن أن تكون ينام أو يعمل. فنحن في الواقع نجد كلمات مختلفة لمعنى القراءة من لغة إلى أخرى. وعلى هذا فكلمة يقرأ، يمكن التفكير فيها على أنها إشارة إلى شيء خارج الكلمة نفسها. ولكن يجب التفريق بين الكلمة كإشارة وبين الكلمة كرمز. فالكلب قد يستجيب إذا سمع اسمه، أو إذا طلب منه صاحبه أن يحضر الكرة مثلاً، إذا دُرب على ذلك. فاسم الكلب، وكلمات مثل أحضر الكرة، تمثل إشارات للكلب. ولكن إشارات أخرى مثل هذه فكرة جيدة، قد لا يفهمها الكلب، لأن مثل هذه الإشارات تصبح أكثر من كونها إشارات، إنها تصبح في الواقع رموزاً للغة، من حيث كون الكلمات رموز تعبر عن معانٍ" (مذكور، تدريس فنون اللغة، 1991)

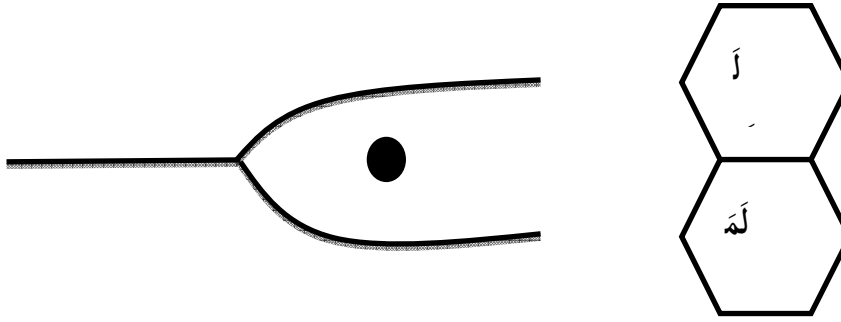
مما سبق يتضح لنا أن كلمات اللغة ما هي إلا رموز يتعامل معها العقل للتعبير عن معانٍ متعددة، لكن ليست كل كلمات اللغة رموزاً، بل هناك كلمات لا تعدو كونها إشارات وأوامر وتعليمات، لتنفيذ إجراءات محددة، يتعامل العقل مع المخرجات التي تترتب عليها، بإصدار ردّات فعل تتوافق مع المطلوب من هذه الإشارات، وأما اللغة المرمزة. فالعقل يتعامل معها على أنها بيانات تحتاج إلى معالجة خاصة، من تخزين وحفظ واسترجاع. وهذا الجزء من اللغة يتطلب من العقل حجز الخلايا المناسبة المكونة للدوائر، كما يتطلب تهئية سيالات عصبية وفق روابط معينة بين تلك الخلايا. وتكون معالجة الدماغ تابعة للترميز الواقع بين كلمات اللغة من جهة وبين تركيب الكلمات من جهة أخرى.

خانات العقل اللغوية

بعد التمييز بين اللغة باعتبارها إشارة واللغة باعتبارها رمز، لابد من تتبع مسار ترميز اللغة في العقل، وبناءً على أسلوب عمل العقل الذي ذكره فورددرمان، نستطيع تحليل مسار اللغة في العقل إلى خانات متعددة، تختلف كل خانة عن الأخرى بحسب الترميز المتبع فيها، وتتألف كل خانة من سيالات عصبية وعقد وخلايا، وسنفصل فيما يلي هذه الخانات، وفق الترميز اللغوي الحاصل في كل خانة.

1. الخانة الثنائية

تتكون هذه الخانة من سيالة عصبية وخليتين وعقدة عصبية، وفق الشكل (2)، حيث يختار العقل الخليتين برابط بينهما، ونفترض في احتمالنا أن الترميز هو الفرق اللغوي، إذ يتعامل العقل مع جذرين لغويين بترميز السلب، فيجمع بين الكلمتين وفق اختلافهما في المعنى، ويتم التخزين والحفظ والاسترجاع في الذاكرة البشرية بناءً على هذا الترميز.

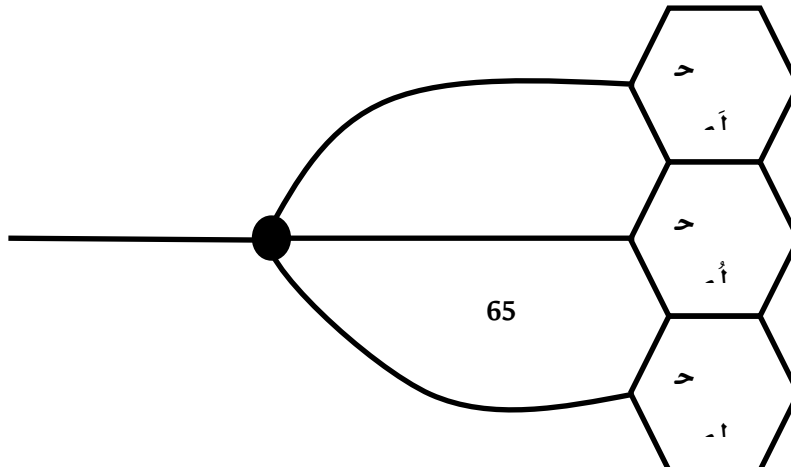


رسم توضيحي 2 الخلية الثنائية

عندما يطلب من العقل البشري حفظ كلمتين في الذاكرة، هما فرضاً (لمح) و(لحظ) فإن الحجز لهما سيكون في خانة واحدة هي الخانة الثنائية، ويسهل على الدماغ التخزين والحفظ والاسترجاع وفق هذه الخانة مع هذا الترميز.

2. الخانة الثلاثية

تتكون هذه الخانة من سيالة عصبية وثلاث خلايا وعقدة عصبية، وفق الشكل (3)، حيث يختار العقل الخلايا الثلاث برابط بينهما، ونفترض في هذا الاحتمال أن الترميز هو المثلث اللغوي، إذ يتعامل العقل مع ثلاثة جذور لغوية بترميز التثليث، فيجمع بين الكلمات الثلاث وفق ارتباطها بصورة واحدة لبنية الكلمة، ويتم التخزين والحفظ والاسترجاع في الذاكرة البشرية بناءً على هذا الترميز.

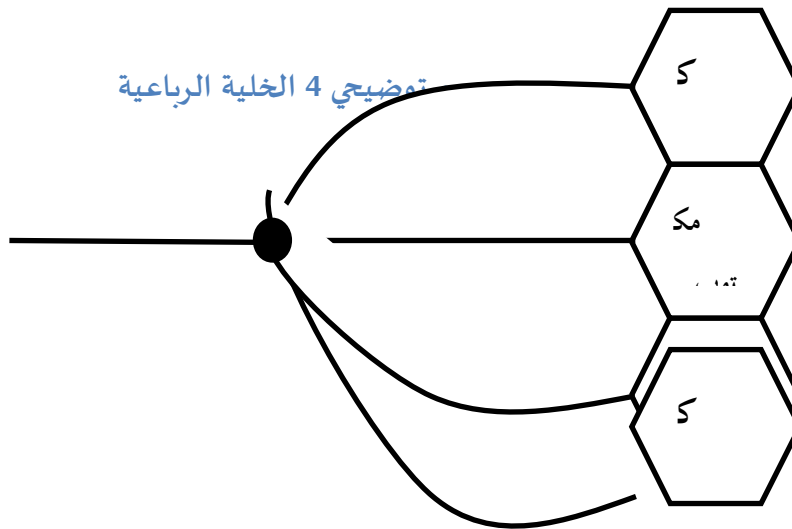


رسم توضيحي 3 الخلية الثلاثية

عندما يُطلب من العقل البشري حفظ ثلاث كلمات في الذاكرة، هي فرضًا (حلم) و(حلم) و(حلم)، فإن الحجز لها سيكون في خانة واحدة هي الخانة الثلاثية، ويسهل على الدماغ التخزين والحفظ والاسترجاع وفق هذه الخانة مع هذا الترميز.

3. الخانة الرباعية

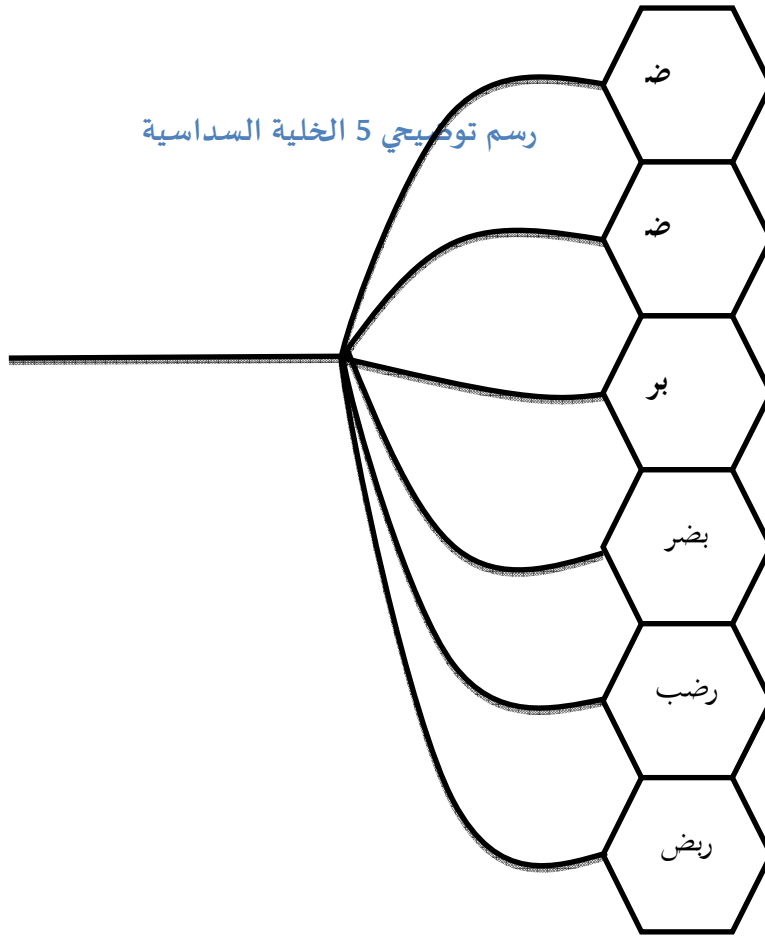
تتكون هذه الخانة من سيالة عصبية وأربع خلايا وعقدة عصبية، وفق الشكل (4)، حيث يختار العقل الخلايا الأربع برابط بينهما، ونفترض في هذا الاحتمال أن الترميز هو الاشتقاق اللغوي، إذ يتعامل العقل مع أربعة جذور لغوية بترميز الاشتقاق، فيجمع بين الكلمات الأربع وفق ارتباطها بجذر لغوي واحد، ويتم التخزين والحفظ والاسترجاع في الذاكرة البشرية بناءً على هذا الترميز.



عندما يُطلب من العقل البشري حفظ أربع كلمات في الذاكرة، هي فرضًا (كاتب) و(مكتوب) و(مكتبة) و(كتاب)، فإن الحجز لها سيكون في خانة واحدة هي الخانة الرباعية، ويسهل على الدماغ التخزين والحفظ والاسترجاع وفق هذه الخانة مع هذا الترميز.

4. الخانة السداسية

تتكون هذه الخانة من سيالة عصبية وست خلايا وعقدة عصبية، وفق الشكل (5)، حيث يختار العقل الخلايا الستَ برابط بينهما، ونفترض في هذا الاحتمال أن الترميز هو التقلاب اللغوية، إذ يتعامل العقل مع ستة جذور لغوية بترميز التقلاب، فيجمع بين الكلمات الستة وفق تقاربها في البناء اللغوي، ويتم التخزين والحفظ والاسترجاع في الذاكرة البشرية بناءً على هذا الترميز.

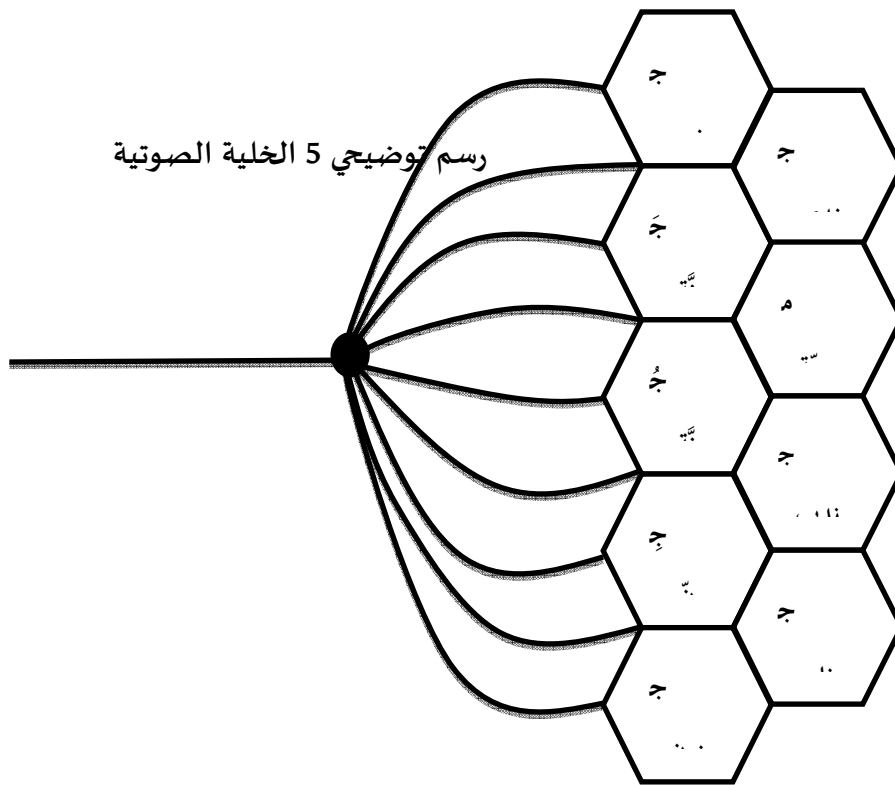


عندما يُطلب من العقل البشري حفظ ست كلمات في الذاكرة، هي فرضاً (ضرب) و(ضبر) و(برض) و(بضر) و(رضب) و(رض)، فإن الحجز لها سيكون في خانة واحدة هي الخانة السداسية، ويسهل على الدماغ التخزين والحفظ والاسترجاع وفق هذه الخانة مع هذا الترميز.

5. الخانة الصوتية

تتكون هذه الخانة من سيالة عصبية وخلايا لامحدودة، وعقدة عصبية، وفق الشكل (3)، حيث يختار

العقل الخلايا برابط بينهما، ونفترض في هذا الاحتمال أن الترميز هو جرسُ الحرف، إذ يتعامل العقل مع الجذور اللغوية بترميز الجرس، فيجمع بين الكلمات وفق تقاربها في المعنى بناءً على ترتيب الجرس أو وجوده، ويتم التخزين والحفظ والاسترجاع في الذاكرة البشرية بناءً على هذا الترميز.



عندما يُطلب من العقل البشري حفظ كلمات في الذاكرة، تملك جرسًا واحدًا، هي فرضًا (جنين) و(جَنَّة) و(جُنَّة) و(جِنّ) و(جنون) و(جندي) و(مجَنَّة) و(جندب) و(جناح)، والرباط بين هذه الكلمات هو المعنى المستخلص من ورود الحرف النون بعد حرف الجيم في جرس الكلام، وهو يعني المعنى العام (ستر)، ثم تأتي كل المعاني الفرعية قريبة من المعنى الأصلي، كالجنين المستور في بطن أمه، والجنة المستورة بكثرة الأغصان، والجنة الستر والوقاية، والجن المستورون عن العين، والجنون ستر العقل، والجندي المستور في المعركة بكثرة أقرانه وباختفائه عن عدوّه، والجندب الحشرة المستورة تحت أوراق الأشجار، والجناح المستور على طرفي الطائر، فإن الحجز لهذه الخانة وفق هذه المعاني سيكون في خانة واحدة هي الخانة الصوتية، ويسهل على الدماغ التخزين والحفظ والاسترجاع وفق هذه الخانة مع هذا الترميز.

تحليل أداة البحث

قام الباحث بإعداد استبيان يقيس كفاية معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها من تعليم الظواهر اللغوية في الجامعات التركية التي تدرس اللغة العربية، وصمم الباحث الأداة لتقيس أربعة جوانب هي:

- أهمية وضرورة ظواهر فقه اللغة عند المعلمي.
 - التمكن اللغوي والمعرفي من ظواهر فقه اللغة عند المعلمين.
 - تقنيات التعليم التي يقوم بها المعلمون في تعليم ظواهر فقه اللغة.
 - دعم ظواهر اللغة للمهارات عند الطالب وعملية التقويم التي يقوم بها المعلمون.
- واشتمل المقياس على 43 فقرة، على أربعة محاور (الأهمية والضرورة – التمكن اللغوي والمعرفي – تقنيات التعليم – المهارات والتقويم)، وروعي في صياغة المفردات سهولة ألفاظها ووضوحها. وكذلك قام الباحث بتعديل بعض العبارات في ضوء آراء الأستاذ المشرف على الرسالة والمحكمين، ثم رتب الفقرات حسب ترتيب المحاور السابقة، واستخدم مقياس ليكارت الخماسي كمايلي:
- موافق بشدة (5)، موافق (4)، محايد (3)، غير موافق (2)، غير موافق بشدة (1).
- ثم قام الباحث بالتحقق من ثبات وصدق المقياس، من خلال تطبيقه على عينة من أعضاء هيئات التدريس في بعض الجامعات التركية (ن = 15)،

نتائج الاستبيان

قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعينة البحث، ولتفسير نتائج البحث المتعلقة بالإجابة على الأسئلة حدد الباحث معياراً عند تفسير ومناقشة النتائج وفق الدرجات المعطاة لفئات الإجابة، بطريقة رياضية وفق الآتي:

المدى = أكبر قيمة لفئات الإجابة – أصغر قيمة لفئات الإجابة

المدى = 5 – 1 = 4

طول الفئة = $\frac{\text{المدى}}{\text{عدد الفئات}}$ ، بالتعويض = $0.8 = (5/4)$

ويكون معيار الحكم على قيمة المتوسط الحسابي كالاتي:

قيمة المتوسط الحسابي من (1) إلى أقل من (1.80) يكون المعيار غير متحقق

قيمة المتوسط الحسابي من (1.80) إلى أقل من (2.60) يكون درجة المعيار ضعيفة

قيمة المتوسط الحسابي من (2.60) إلى أقل من (3.40) يكون درجة المعيار متوسطة

قيمة المتوسط الحسابي من (3.40) إلى أقل من (4.20) يكون درجة المعيار جيدة
قيمة المتوسط الحسابي من (4.20) إلى أقل من (5.00) يكون درجة المعيار عالية

النتائج والاستنتاجات

إن ظواهر فقه اللغة مهمة في عملية التعليم، لإدراك منطق اللغة وفهمها الفهم اللازم الذي يؤهل الطلاب للانتقال من المستويات الدنيا إلى المستويات العاليا، ولتتم العملية التعليمية المبنية على ظواهر فقه اللغة لابد من عدة عوامل رئيسية مساعدة، وتعلقة بالممارسات الصفية للمعلم، وهذه العوامل هي:

- 1- الأسلوب التعليمي المتبع في التعليم: يختلف الأسلوب المتبع معه ظواهر اللغة عن باقي الأساليب، ذلك أن ظواهر فقه اللغة تختلف فيما بينها من سهل إلى صعب، ومن واسع النطاق إلى ضيق النطاق، فاختيار المعلم للوقت المناسب مهم جداً، واختياره للمستوى المناسب أمر في غاية الأهمية.
 - 2- التقييم والتقويم: تحتاج ظواهر فقه اللغة في التعليم للمتابعة الدائمة الدؤوبة، إذ لا يترك الطالب دون مراقبة وتقويم، لأن ذلك ربما ينعكس سلباً على العملية التعليمية، حيث تسبب نفوراً للطالب، وتراكماً مدموماً لمجموعة مدخلات غير واضحة المعالم عند الطالب.
 - 3- التدرج في التعليم: تتميز بعض ظواهر فقه اللغة بصعوبتها من حيث التحليل، وبالتالي لابد أن تؤخر إلى مستوى مناسب، يستطيع الطالب من خلاله فهمها وإدراكها، وإلا لا تؤدي العملية التعليمية ثمارها.
 - 4- لا بد من دمج العملية التعليمية بشيء من التشويق، والألعاب اللغوية أكبر مساعد على تقبل ظواهر فقه اللغة في العملية التعليمية، وتعكس الألعاب التعليمية جواً من الألفة بين الطالب وظواهر فقه اللغة، ومن هذه الألعاب:
- أ. التخمين: وهي أن يعطى الطالب في المستوى المتوسط الأعلى أو المتقدم، معنى جرس لحرف، ويعطى العديد من الكلمات التي تحتوي نفس الحرف ثم عليه أن يخمن المعاني التي تحملها الكلمات، بشرط أن تكون الكلمات جديدة على الطالب ولم يعرفها من قبل.
 - ب. المزاوجة: وهي أن يعطى الطالب من المستوى المتوسط الأدنى فما فوق، مثلثاً لغوياً بثلاث كلمات، ويعطى معاني مواد هذه المثلث، لكن تكون المعاني غير مرتبة مع المواد المثلث، وعلى

الطالب أن يرتبها بعد البحث في المعجم أو شبكة الانترنت. أو التوصيل المباشر دون البحث، ثم تكون التغذية الراجعة من المعلم بعد ذلك.

ت. التوليد: وهي أن تجمع بعض الكلمات وتكتب في أوراق ثم توضع في صندوق، ويخرج طالبان متنافسان من المستوى المبتدئ الأعلى فما فوق، ويأخذان ورقتان من الصندوق، ثم على كل طالب أن يأتي بمشتق لهذه الكلمة التي بين يديه، ويتناوبان في ذلك كلمة بكلمة، فمن يعجز عن الإتيان بمشتق يخرج من السباق. ويمكن أن تكون بين أكثر من طالبين، ويتناوبون فيما بينهم على الإتيان بمشتق جديد في كل مرة.

ث. التجميع: وهي أن يكتب المعلم مجموعتين من الكلمات أو أكثر، على أن تكون في كل مجموعة سبعين كلمة أو أكثر، على أوراق بين يدي الطلاب أو على السبورة، وتكون هذه الكلمات مشتقات للعديد من الجذور، ثم يقسم الطلاب إلى مجموعتين أو أكثر، ويتناوبون في إخراج المشتقات المتعلقة ببعضها في كل مرة، والمجموعة التي تخرج العدد الأكبر من عائلات الاشتقاق تكون الظافرة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم عيسى عثمان. (2008). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع (المجلد الأول). الأردن، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- إبراهيم محمد البب. (صيف، 2010). الظواهر الصوتية عند سيبويه. دراسات في اللغة العربية وآدابها.
- إبراهيم مقالاتي. (1998). شرح مثلث قطرب.
- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي . (1989). الجامع لأخلق الراوي وآداب السامع. الرياض: دار المعارف.
- أبوياسر محمد بن مطرب بن عثمان آل مطر الزهراني. (1996). تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري (المجلد الأول). المملكة العربية السعودية، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع.
- أحمد محمد قدور. (1991). المدخل إلى فقه اللغة. جامعة حلب.
- إسحاق محمد الأمين، و محمود إسماعيل صيني. (1982). التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء. السعودية، الرياض: جامعة الملك سعود.
- الجزيرة. (28، 1، 2016). ذاكرة الدماغ بسعة الشبكة العنكبوتية العالمية. تم الاسترداد من الجزيرة: <http://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology>
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت السامرائي. (1988). معجم العين. (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، المحرر) لبنان، بيروت: دار الهلال.
- أنور محمد الشرقاوي. (2012). التعلم نظريات وتطبيقات. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

- جورج مونان. (1975). اللسانيات والفلسفة. باريس: المنشورات الجامعية الفرنسية.
- جيرار لوكونت. (1976). قواعد اللغة العربية. فرنسا، باريس: المنشورات الجامعية الفرنسية.
- حمادة إبراهيم. (1987). الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها. القاهرة: دار الفكر العربي.
- دوجلاس براون. (1980). مبادئ تعلم اللغة وتعليمها (المجلد الثانية). (إبراهيم بن حمد القعيد وعيد بن الله الشمري، المترجمون) كاليفورنيا، سان فرانسيسكو: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- رشدي طعيمة. (2000). تدريس اللغة العربية في التعليم العام: نظريات وتجارب. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الفكر العربي.
- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، الدمشقي، الحنبلي. (795). شرح علل الترمذي (المجلد الأولى). (تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، المحرر) الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار.
- سونيا هانم قرامل. (2013). المعجم العصري في التربية. دارعالم الكتب.
- شعبان غزالة. (1987). بناء منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. القاهرة: دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ابن خلدون. (1406). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المجلدات الثانية - 1988 م). (تحقيق خليل شحادة، المحرر) لبنان، بيروت: دار الفكر.
- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. (2000). أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. الطبعة لأولى. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- عبد الراجحي. (1995). علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. مصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- علي أحمد مذكور. (1991). تدريس فنون اللغة. مصر، القاهرة، عابدين: دار الشواف للنشر والتوزيع.
- علي أحمد مذكور. (1991). تدريس فنون اللغة العربية. مصر، القاهرة: دار الشواف.
- فتحي علي يونس. (2003). المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة.
- كارول فوردرمان. (2007). العقل الخارق. (قسم الترجمة بدار الفاروق، المترجمون) مصر، القاهرة، مصر: دار الفاروق.
- محمد علي الخولي. (1986). أساليب تدريس اللغة العربية. الأردن، عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- مصطفى رسلان. (1985). برنامج مقترح لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. مصر، عين شمس: دكتوراه غير منشورة، كلية التربية - جامعة عين شمس.
- موريس شربل. (1986). التطور المعرفي عند جان بياجيه (المجلد الأولى). لبنان، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- ناصر عبد الله الغالي. (1991). أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية. الرياض: دار الاعتصام.

كتابات الشيخ الندوي في أدب الرحلة مع التركيز على الكتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي"

عبد الحكيم⁵⁰

المدخل:

إن الشيخ السيد أبا الحسن علي الندوي رحمه الله (1914-1999) بصفته عالما إسلاميا وداعية كبيرا ورحالة عظيما رحل إلى أقاصي العالم شرقا وغربا لا للتزهد والمتعة النفسية وطلب الراحة والسكون بل لطب العلم والمعرفة ونشر الدين الخالد إلى يوم القيامة، وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم، وجلب أنظار عامة الناس إلى فرائضهم وواجباتهم تجاه الأمة المسلمة في العالم كله، وأكثر رحلاته إلى العالم العربي والغربي على حد سواء، وكلها تتسم بميزات علمية وأدبية دعوية، وأن رحلاته لم تكن مجرد رحلة كرحالة عصرنا الحاضر، بل أنه قد التقى بالعلماء والكتاب والشعراء والرجال السياسيين والقادة بالإضافة إلى الوزراء والحكام العرب وأصحاب السلطنة والحكم، واشترك في ملتقيات كبرى، وألقى محاضرة قيمة في العديد من الجامعات والمؤسسات والكليات في الهند وخارجها. ولا شك فيه أن الشيخ الندوي قام برحلاته المتكررة إلى معظم أنحاء العالم، وبحث وفحص وحلل وفسر ما شاهد خلال رحلته ثم كشف ما لم يكتشف إليه الآخرون، وساهم مساهمة كبيرة في فن أدب الرحلة، وترك لنا ثروة عظيمة في تراثنا الأدب العربي، وبلغ عدد كتبه سوى فن غير الرحلات حسب علمنا إثني عشر كتابا يعد في مجال أدب الرحلة، وأكثر الكتب له مدونة ومسجلة في اللغة العربية التي ظهرت بعناوين مختلفة مثل: "في مسيرة الحياة" و "أسبوعان في المغرب الأقصى" و "من نهر كابل إلى نهر اليرموك" و "ماذا رأيت في الشرق الأوسط" و "أسبوعان في تركيا" و "نحن الآن في المغرب" و "مذكرات سائح في الشرق العربي" ونحن نركز على هذا الكتاب الأخير في هذه المقالة الوجيزة المتواضعة، وإن هذه الكتب القيمة تعتبر من أهم المصادر والمراجع للباحثين القادمين الذين يريدون الإلمام بمساهمات الشيخ الندوي في مجال أدب الرحلة في الهند.

المحور الأول :

كتابات الشيخ الندوي في أدب الرحلة

إن الشيخ الندوي قام برحلة استطلاعية في الهند وخارجها ولاسيما في البلاد العربية والغربية على حد سواء رغم مساهماته القيمة في التأليف والتصنيف والتدريس في مجال العلوم الإسلامية والمنشورات الأدبية والفنية، وجمع المعلومات القيمة عنها ونسقها ورتبها في شكل كتب مختلفة تخص أدب الرحلات وحدها، وقد ظهرت هذه الرحلات كلها بعناوين مختلفة، وإن هذه الرحلات كلها كانت منتشرة هنا وهناك في سيرته الذاتية والجرائد والمجلات

⁵⁰ الباحث في الدكتوراه بجامعة جواهر لال نهرو دلهي الجديدة.

العربية والأردية والكتيبات المطبوعة المختلفة، فجمعها السيد عبد الماجد الغوري في كتاب واحد مستقل باسم "رحلات العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي-مشاهداته، محاضراته، لقاءاته، وانطباعاته. ومن تلك الكتب القيمة التي تعد من أهم المصادر والمراجع للباحثين القادمين الذين يرغبون في بحث وتحقيق حول هذا الموضوع، والكتب حول أدب الرحلة هي كما يلي:

1. مذكرات سائح في الشرق العربي
2. من نهر كابل إلى نهر اليرموك
3. أحداث صريحة مع إخواننا العرب
4. نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان
5. دو هفته تركي مين (بالأردية) وأسبوعان في تركيا (بالعربية)
6. من بيتنا إلى بيت الله (بالأردية)
7. شرق أوسط مين كيا ديكها (بالأردية) ماذا رأيت في الشرق الأوسط
8. مع الغرب
9. أسبوعان في المغرب الأقصى
10. نحن الآن في المغرب
11. حج كى جند مشاهدات اور محسوسات (بالأردية)
12. كاروان زندغي (بالأردية) في (7) مجلدات، وقام بإلحاق تكميلته الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي 2009م في نهاية المجلد 7 ، وقد ترجم إلى اللغة العربية بعنوان "في مسيرة الحياة" في (3) مجلدات، وأن هذا الكتاب سيرة ذاتية للشيخ الندوي.

أما كتابه القيم في باب أدب الرحلة هو "أسبوعان في المغرب الأقصى" الذي قام بتدوينه الشيخ الندوي عندما قام برحلة إلى المغرب الأقصى سنة 1976م لحضور مؤتمر عقده جمعية الجامعات الإسلامية (التي تدعي الآن رابطة الجامعات الإسلامية)، وكان أن قضى هناك أياما زار خلالها مناطق مختلفة من هذا البلد الجميل، واطلع على آثاره التاريخية والأماكن الأثرية ومكتباته، وتعرف على شعبه وعلمائه وأدبائه، ثم كتب هذه المذكرات معبرا فيها عن مشاعره وانطباعاته بأسلوب بليغ، يغلب على هذه المذكرات الطابع التاريخي، غير أن كاتبها حرص على تسجيل انطباعاته عند كل مشهد أو موقف يتعرض له، فجاء الكتاب مصورا لجوانب من الحياة بمستوياتها المختلفة في هذا البلد الإسلامي، ومعبرا عن شخصية الكاتب الذي ينطلق دائما من فكره وعقيدته وعاطفته الإسلامية حين يتعامل مع الأشخاص أو الأفكار أو الأشياء.⁵¹ قد اشتمل الكتاب على مئة وسبعة وخمسين صفحة، صدرت طبعته الأولى في عام

⁵¹ المسححة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي للشيخ واضح رشيد الندوي ص:46

1402 هـ المصادف عام 1984 م، قد وضع المؤلف هذا الكتاب في "أردو" لغة مسلمي شبه القارة الهندية بسبب قلة المواد في هذه اللغة وقلة معلومات الشعب المسلم عن إخوانهم المغاربة، ثم رأيت أن نقلها إلى العربية ونشرها في بلاد المغرب وفي العالم العربي منير للعقول، وحافز للهمم، فعهدت بنقله إلى العربية إلى الأستاذ نور عالم الأميني الندوي- وهو مترجم قدير وكاتب أديب- فقام بهذه العملية خير قيام، وتناولت الترجمة بالتنقيح والتهديب، فجاء كتابا مستقلا كأنه ألف في العربية أصالة.⁵²

وأما كتابه الشهير الذي يعتبر من أهم الكتب العربية في هذا الباب فهو "من نهر كابل إلى نهر اليرموك" في الحقيقة هو مذكراته اليومية عندما شرف الشيخ الندوي بقيادة وفد زارسته أقطار إسلامية وعربية في غرب آسيا، وفي الشرق العربي، وهي أفغانستان وإيران ولبنان وسوريا والعراق والأردن، وكان هذا الوفد من ضمن الوفود الكثيرة التي أرسلتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في سنة 1973 م إلى مختلف أنحاء العالم، وقد كانت الجولة التي يتحدث عنها هذا الكتاب في فترة بين 4 من حزيران 1973 م و 20 من آب 1973 م، وقد سجل الشيخ الندوي أخبار هذه الجولة وانطباعاته وملاحظاته، وما دار فيها من حديث وما ألقاه فيها من محاضرات، وما حظي به من لقاءات وزيارات، معتمدا في ذلك على ذاكرته غالبا، وعلى بعض الأشرطة التي كانت معه نادرا، فجاء هذا الكتاب مصورا لجوانب الحياة في هذه البلاد، وما تواجهه من قضايا ومشكلات، وما تعانيه من صراع فكري وحضاري ونفسي، وما تحتاج إليه من إرشاد أو إسناد.⁵³ قد اشتمل هذا الكتاب على مئتين وسبعة وخمسين صفحة تقريبا، نشرت طبعته الثانية عام 1394 هـ المصادف عام 1974 م من دار الإيمان ببيروت.

والكتاب الذي يعد من أهم الكتب الرحلية هو كتابه القيم أسماه بـ "أحاديث صريحة في أمريكا" فإن هذا الكتاب في المعنى الحقيقي هو مجموعة محاضرات قيمة ألقاها الشيخ الندوي في أمريكا الشمالية وكندا طبعت مؤسسة الرسالة ببيروت طبعته الأولى عام 1398 هـ الموافق عام 1978 م باسم "أحاديث صريحة في أمريكا" حينما قام الشيخ الندوي بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية وكندا بدعوة من الطلاب المسلمين المقيمين فيها في سنة 1977 م، فألقى هذه المحاضرات في حفلاتهم وجلساتهم، وأن هذه المحاضرات القيمة تدور حول إعادة ثقة الشباب برسالة الإسلام، التي يحملونها والدور الذي ألقيت مسؤوليته على عواتقهم ورفع معنوياتهم وإزالة مركب النقص، الذي يعانيه كثير من الشباب المسلم إزاء الحضارة الغربية وقيمها ومثلها، فإن هذا الكتاب يعيد ثقة الشباب المسلم برسالة الإسلام الخالدة، ومسارته لكل عصر ومصر، وصلاحيته للقيادة البشرية، والحضارة الإنسانية، وبالتالي فشل الحضارة الغربية ونظمها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لحل المشاكل الراهنة.⁵⁴

وكذلك اشتهر في مجال أدب الرحلة كتابه القيم "حديث مع الغرب" في الحقيقة هو أيضا مجموعة محاضرات

⁵² أسبوعان في المغرب الأقصى للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص: 4

⁵³ من نهر كابل إلى نهر اليرموك للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 6-5

⁵⁴ أبو الحسن الندوي العالم المري والداعية الحكيم للدكتور محمد أكرم الندوي ص: 519-520

وخطبات ألقاها الشيخ الندوي عندما كان مسافرا في أوروبا، وقف الشيخ الندوي في هذا الكتاب وقف الداعية الإسلامي، يدعو الغرب إلى الإسلام من غير محذرة، وتأويل وخجل واستحياء، ويحثه على أن يلعب دوره الخطير الهام في قيادة الإنسانية، ويغير مجرى الحياة، وأنه يقول إن هذه الوسائل والعلوم تستطيع أن تفيض على الجنس البشري على اختلاف ألوانه وطبقاته وأممه وشعوبه سعادة حقيقية، وإذا اقترنت بالإيمان والغايات الصالحة، ولكنه لا يكتفي بهذا القدر من الدعوة، بل يلفت أنظار الغرب إلى هذه الأنانية والكبرياء التي سدت عليهم منافذ النور، وحالت دون قبول الحق، وذلك كله في أسلوب حكيم لبق، ينم عن فقه وحكمة، وحب وإخلاص، وتوجع وإشفاق، وأن الشيخ يوجه حديثه القيم إلى الشبان المسلمين المقيمين في ديار الغرب بوجه خاص، محذرا لهم من أن تسحرهم هذه الحضارة الخادعة التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، ويدعوهم إلى أن يعيشوا في ديار الغرب كالداعي والقائد، لا كالمقلد والتلميذ، ويفتحوا قناة جديدة بين الغرب والشرق على أساس النفع المتبادل، ويرجعوا إلى أوطانهم وبلادهم. وهم أشد إيمانا بخلود الإسلام واعتزازا به، وأكثر إشفاقا على الغرب وعلى الإنسانية التي كادت تهوي في الهاوية.⁵⁵ يضم هذا الكتاب أربعة وعشرين صفحة تقريبا، نشره دار الإرشاد للنشر والطباعة والتوزيع طبعته الأولى عام 1387 هـ الموافق 1967 م.

وعلاوة على هذه الكتب الرحلية المذكورة هناك عدد كبير من الكتب التي يعد من أهم انتاجاته في باب أدب الرحلة، منها: "نفحات الإيمان بين عمان وصنعاء" و"أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين"، و"كاروان زندكي (بالأردية في سبع مجلدات) أما كتابه "كاروان زندغي" فهو الذي يشتمل على سيرته الذاتية من مرحلة الطفولة إلى الكهولة، أنه قد صور فيه تاريخ الإنشاء والكتابة والتأليف في حياته، وأهم الأحداث والوقائع، والحركات والدعوات في عهده لعرض أرائه وأفكاره، ومشاهداته وانطباعاته ودعوته ومنهجه بصورة مختصرة، وعرض النقاط الأساسية الرئيسية من كتاباته ومؤلفاته وتقديم مقتطفات مهمة منها، وهي منشورة مبعثرة في كثير من مقالاته ومحاضراته ومؤلفاته التي بلغت أكثر من خمسة وسبعين مؤلفا.⁵⁶ إن هذا الكتاب كتبه الشيخ الندوي في ستة مجلدات وقام بإلحاق تكملة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عام 2009م في نهاية المجلد 7 وقد قام السيد سلمان الحسني الندوي بنقل الكتاب من اللغة الأردية إلى اللغة العربية الفصحى على كثرة شواغله وقيامه بمهمة التدريس والدعوة باسم "في مسيرة الحياة" في ثلاثة أجزاء.

وكذلك اشتهر كتابه القيم المسمى بـ "دو هفتة تركي مين (بالأردية) وكتابه الآخر "من بيتنا إلى بيت الله (بالأردية) يشتمل هذا الكتاب المذكور على رحلته قام بها الشيخ الندوي مع عائلته إلى الحجاز للحج الأول عام 1947م، وممالا شك فيه أن الشيخ الندوي قام برحلاته المتكررة إلى معظم أنحاء العالم، وبحث وفحص وحلل وفسر ما شاهد خلال

⁵⁵ حديث مع الغرب للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 11-12

⁵⁶ في مسيرة الحياة الجزء الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 25

رحلته ثم كشف ما لم يكتشف إليه الآخرون، وساهم مساهمة كبيرة في فن أدب الرحلة، وترك لنا ثروة عظيمة في تراثنا الأدب العربي، وبلغ عدد كتبه سوى فن غير الرحلات حسب علمنا إثنا عشر كتابا يعد في مجال أدب الرحلة، وإن هذه الكتب القيمة تعتبر من أهم المصادر والمراجع للباحثين القادمين الذين يريدون الإمام برحلات الشيخ الندوي في مجال أدب الرحلة في الهند.

المحور الثاني : دراسة تقييمية لكتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي"

إن الشيخ أبا الحسن علي الحسيني الندوي يعد من أهم الرحالين البارزين في عصرنا الحاضر، وطارت سمعته وصيته على الصعيد الوطني والعالمي من خلال مؤلفاته وتصنيفاته الهامة لعدد من الفنون المختلفة، فقد كتب في دراسات القرآن والحديث وفي الدراسات الثقافية والاجتماعية وفي الدراسات الإسلامية المقارنة وفي الدعوة وفي الدراسات الأدبية وفي السيرة والتاريخ وفي القضايا الاجتماعية وفي النقد وفي أدب الرحلة وما إلى ذلك، وامتاز وتفوق على كل ما يماثله، ولو أمعنا النظر على كتبه الرحلية فوجدنا أنه قام برحلات عديدة في جميع أنحاء العالم فقط للدعوة والتبليغ وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم، وجلب أنظار عامة الناس إلى فرائضهم وواجباتهم نحو الأمة الإسلامية، وسجل الشيخ الندوي فيها انطباعاته وخواطره ومشاعره ووجدانه ما رأى وسمع خلال رحلاته وجولاته عبر البلدان، وقدمها بأسلوب رائع جذاب يمتاز بالفصاحة والبلاغة مما يرغب القاري في رحلاته وجولاته حتى يجبر على أن يقرأ الكتب المتعلقة بالرحلات، وعندما يبدأ بمطالعة رحلاته فلم يتركها حتى يكمل قراءتها ومطالعتها بأسرها، وعندما يطالع القاري رحلاته يشعر تلذذا في نفسه كما يتلذذ من خلال قراءة كتب الرواية والمسرحية والقصة وغيرها.

وأما الكتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي" فهو كتاب قيم يعد من أهم انتاجاته فنا وأدبا في فن أدب الرحلة، وقد اشتمل الكتاب على ثلاث مائة وخمسة وسبعين صفحة تقريبا، وقد صدرت طبعته الأولى لهذا الكتاب بعنوان "مذكرات سائح في الشرق العربي" عام ألف وتسع مئة وأربعة وخمسين للميلاد، نشرتها جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر، قدم لها صديقه الحميم وعضو الجماعة الكبير الدكتور محمد يوسف موسى، وتمت طبعها من مكتبة وهبة، وكذلك صدرت طبعته الثانية عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف للهجرة والمصادف واحد وألفين للميلاد، نشرته دار ابن كثير دمشق- بيروت. كتب الشيخ الندوي هذا الكتاب عندما خرج في مفتتح سنة 1951م (واحد وخمسين وتسع مئة وألف) في رحلة إلى عواصم الشرق العربي ليدرس وضع هذه الأقطار الديني والعلمي والاجتماعي، ويتعرف برجالاتها وقادة الفكر فيها، ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية والعلمية، والقضايا الإسلامية، والمناهج الإصلاحية، والمشاريع التعليمية، ويعرفهم ببلاده الهند، ورجالاتها وعلمائها وأدبائها، ويخبرهم بتجارب دعوة والإصلاح وأنشطتها التي مرت بها الهند الإسلامية في عهدها الأخير، ولم يعثر عليها العرب إلا القلائل منهم، فالتزم الشيخ الندوي في هذه الرحلة كلها أن يسجل كل حديث وكل انطباع في يومه، وأن يتحرى الدقة في

النقل والصحة والصرافة بتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الإمكان، فجاءت في هذا الكتاب صورة من الأساليب والآداب المحلية يستفيد منها مؤرخ الأدب فيما بعد.⁵⁷

قام الشيخ الندوي برحلة للمرة الأولى في 12/ربيع الثاني عام 1370هـ الموافق 20/يناير عام 1951م من جدة إلى القاهرة بمرافقة الشيخ محمد معين الدين الندوي والشيخ عبدالرشيد الندوي ملتزما بتسجيل مذكراته في هذه الرحلة ما يدل على أهداف الرحلة ودوافعها "وداعا أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك والاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة في ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، أبلغها تحياتك، وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم والأمانة التي تقلدتها".⁵⁸ عندما وصل الشيخ الندوي إلى القاهرة (مصر) لم تلتفت أنظار الأوساط العلمية والأدبية، إذ لم يكن عمره يجاوز آنذاك (37) عاما، وهو يرتدي الزي الهندي الذي لا يجاوز في القدر ملابس اليوم في الشرق العربي إلا قليلا، فلا عباءة علماء الأزهر تكسوه، ولا بزة الأفندية تجمله، أما إقامته فكانت في مكتبة متواضعة لإحدى جمعيات القاهرة الخيرية.⁵⁹ وكان كتابه القيم "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" قد سبقه إلى الأوساط العلمية والفكرية والدعوية ووجد مكانه، فكان له كبطاقة الزيارة ووسيط تعارف، وكان يكفي له أن يقال إنه مؤلف "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" وألقى في القاهرة سلسلة من الخطب والمحاضرات في مختلف النوادي والجمعيات الموقرة التي تعرف فيها إلى شباب مصر والأوساط القديمة والجديدة فيها فحسب.⁶⁰

مكث الشيخ الندوي في مصر ستة أشهر إلا قليلة، والتقى فيها بكبار العلماء والدعاة والمفكرين والقادة الزعماء ومشايخ الأزهر وأصحاب الاختصاص في العلوم الدينية نخص منهم بالذكر عبد المجيد سليم، ومحمود شلتوت، وأحمد محمد شاكر، وحسنين محمد مخلوف، وحامد الفقي، ومحمد عبد اللطيف دراز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ومصطفى صبري، ومحمد يوسف موسى، وأحمد عبد الرحمن البنا، وأمين الحسيني، والأمير عبد الكريم الريفي، وعبد الرحمن عزام باشا، واللواء صالح حرب باشا، وعباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات، وأحمد أمين وغيرهم.⁶¹ ثم توجه في 3 فبراير عام 1951م إلى الجامع الأزهر وزار مكتبة الأزهر مع بعض الأصدقاء، وزار إدارة مجلة الأزهر، ولقي عددا كبيرا من العلماء والأدباء المصريين، ثم رحل إلى محكمة الجنايات وزار القلعة ومسجدها والمتحف الحربي والمساجد والمقابر، ثم توجه إلى الأهرام وشاهد هذه المباني العظيمة التي عدت من عجائب العالم وآيات الفن وأثار التاريخ الخالدة، ثم توجه إلى دار الآثار العربية ورأى آثارا من الأواني والقطع الخشبية والأسلحة وغير

⁵⁷ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص:5

⁵⁸ في مسيرة الحياة الجزء الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص:218

⁵⁹ أبوالحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب للشيخ عبد الماجد الغوري ص:241

⁶⁰ في مسيرة الحياة الجزء الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص:222

⁶¹ المصدر السابق ص:218-220

ذلك، استخرجت من حفائر الفسطاط ربما أنها من مخلفات فاتحي مصر والصحابة.⁶²

ثم توجه الشيخ الندوي في 29/فبراير عام 1951م إلى دار الشبان المسلمين التي كانت أكبر منبر موقر للإسلام في مصر وألقى محاضرة في قاعة عبد الحميد سعيد بعنوان "العالم على مفترق الطرق".⁶³ حضرها بعض كبار علماء الأزهر ومشايخه، وعدد طيب من الكتاب والمفكرين، ولم يكن هذا الحديث حسب العادة في مصر معدا ومسجلا من قبل بل كان خطبة مرتجلة، وكانت هي تجربة جديدة عن شخص عجمي لأهل مصر.⁶⁴ وكان هذا الخطاب ناجحا جدا شاع ذكره في الأوساط الدينية والأدبية في مصر، وعلق على هذه المحاضرة الأستاذ أحمد الشرباصي والأستاذ عبد المتعال الصعيدي والشيخ محمد الغزالي والشيخ عبد المنعم خلاف.⁶⁵ وفي 13/مارس عام 1951م توجه الشيخ الندوي إلى جمعية الشبان المسلمين وألقى محاضرة قيمة بعنوان "الدعوة الإسلامية في الهند وأدوارها وأطوارها" في حفل تكريم للأستاذ أبي الحسن أقامه الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين في مصر اللواء صالح باشا بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، حضرها كبار علماء الأزهر وبعض رجالات العالم الإسلامي كالأمير عبد الكريم الخطابي والشيخ محمود شاکر والشيخ حسنين مخلوف، حيث ذكر الشيخ الندوي نبذة موجزة حول الشخصيات الإصلاحية الدينية في الهند، وتاريخ الدعوة الإسلامية، ومختلف أدوارها وعصورها وأساليبها ومناهجها التعليمية والتربية الإسلامية وقدمه كتحفة وهدية بكونه ممثلا من جميع المسلمين الهنديين وقال بكل صراحة "أنا اعتقد كذلك أن جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية عامة، ليست ملكا لبلد دون بلد، ولا احتكارا في شعب دون شعب، بل هي بضاعة المخلصين في كل بلد، ونبراس المصلحين في كل عصر، يحق لهم أن يقولوا كلما أهديت إليهم ونقلت عن بلاد إلى بلادهم "هذه بضاعتنا ردت إلينا".⁶⁶

ثم رحل إلى دار العلوم في 28/03/1951م، وألقى فيها محاضرة قيمة حول موضوع "الدكتور محمد إقبال الجيل الجديد والعالم الإسلامي" وقد شارك في هذه المحاضرة الدكتور محمد يوسف موسى، والأستاذ عبد الحكيم عابدين، والأستاذ عمر الدسوقي، وقد كان الأستاذ عمر الدسوقي من كبار المعجبين بالمحاضرة وبشخصية محمد إقبال.⁶⁷ وألقى محاضرة في 10/أبريل عام 1951م بعنوان "الدكتور محمد إقبال" في كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول، حضرها الدكتور عثمان أمين، والدكتور محمد محمود الصياد والأستاذ عبد المنعم الكرمي، وحضر معالي محمد علي علوبة باشا، وسعادة عبد الستار سبت مع آخرين من المستمعين، وحضرها عدد كبير من طالبات الجامعات

⁶² مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 62-103

⁶³ المصدر السابق ص: 117

⁶⁴ في مسيرة الحياة الجزء الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 222

⁶⁵ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 119

⁶⁶ الدعوة الإسلامية في الهند للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 42

⁶⁷ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 164-165

وجلسن مع الطلبة جنباً لجنب.⁶⁸ وقد نظم للشيخ الندوي الإخوان رحلات وجولات دعوية، وقد رافقه ترجمان الإخوان الداعية الكبير محمد الغزالي، وقام بهذا الصدد بجولات دعوية كالقناطر الخيرية، وطنطا، وبها، وحامول، وحلوان، وسنتريس، والمحلة الكبرى، ونكله، والعزبية، وقويسنا، ونبروه.⁶⁹

وكذلك في 3/يونيو عام 1951م رحل الشيخ الندوي من القاهرة إلى السودان. وأقام فيها عشرة أيام، وفي أثناء إقامته قد التقى بالعلماء والأدباء والشعراء والرجال الكبار من الأدب والفن والعلم والسياسة من أمثال: السيد علي المير غني باشا والشيخ الأستاذ إسماعيل الأزهرى بك والشيخ شوقي الأسد وغيرهم الكثيرين، ثم ذهب إلى جامع أم دربان، ودار خريجي الجامعة حيث ألقى محاضرة قيمة بعنوان "أهمية إفريقية الدينية" حضرها عدد كبير من علماء العاصمة المثلثة وأساتذة المدارس والشبان وقال فيما قال "لقد لعبت آسيا دورها في تاريخ العالم، وتولت قيادة الأنبياء ومبادئ الدين، ثم انتقلت القيادة المادية والمعنوية إلى أوربة- ولها أسباب وعلل ليس هذا محل شرحها-، فشقي العالم وشقيت الإنسانية بهذه القيادة كما يعلم الجميع، وهذا دور قيادة أفريقية أيها المسلمون الإفريقيون، فإن الله يمنح كل أمة وكل قطر فرصة القيادة والخدمة".⁷⁰

وفي 24/يونيو عام 1951م ارتحل مع بعض رفقاؤه إلى أرض دمشق وأقام فيها ثمانية وأربعين يوماً وقضى أربعة وعشرين يوماً منها في دمشق، وخلال إقامته فيها ألقى محاضرة مهمة بتاريخ 23/يوليو عام 1951م حول موضوع "شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين" بجامعة السورية، حضرها كبار علماء دمشق وكان منهم الدكتور مصطفى السباعي، والشيخ محمد بهت البيطار، والشيخ محمد المبارك وغيرهم من العلماء والكتاب والرجال السياسيين وغيرهم، وقد اشتملت هذه المحاضرة على دراسة تلك العوامل المهمة التي أدت إلى هذه المأساة منها وذكرها بالتفصيل اليسير، وهي كما يلي-

الأول: فقد الدوافع النفسية إلى الاستماتة والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة. والثاني: طغيان العقل على العاطفة وضعف روح المغامرة. والثالث: عدم وجود شخصية في قيادات الشعوب العربية كلها تغمر فلسطين وقضيتها ومشاعرها وتفكيرها، ويصبح حالها كحال صلاح الدين الذي وصفه أمين سره القاضي ابن شداد "إنما كان كالوالدة الثكلى التي ذبح ولدها الوحيد في حجرها" وإنه متى حل هذه القضية الفلسطينية لا تحل إلا بهذا الطريق، لا من طريق المؤتمرات والقرارات والمجاملات".⁷¹

وكذلك في 24/يونيو عام 1951م سافر إلى دمشق، وخلال هذه الرحلة ذهب إلى بيت المقدس وتشرف بزيارة

⁶⁸ المصدر السابق ص: 174

⁶⁹ المصدر السابق ص: 225

⁷⁰ المصدر السابق ص: 216

⁷¹ أبوالحسن الإمام المفكر الداعية المربي الأديب للشيخ عبد المجاد الغوري ص: 251

المسجد الأقصى، وقضى فيها الأيام الأخيرة من رمضان وصلى العيد هناك، وزار قبر زعيم بلادنا الهند وقائد حركة الخلافة الكبرى في شبه القارة الهندية مولانا محمد علي جوهر، وقضى يومين في مدينة الخليل المباركة وعبر انطباعاته حول أحوال المسلمين الفلسطينيين قائلا "ورأيت المسلمين- أهل فلسطين- كغرباء وأيتام لا يشعرون بكرامة ولا يثقون بمستقبل، قلوبهم منكسرة ورؤوسهم منكسة، وكانوا يجتمعون من القرى المجاورة وضواحي القدس في عدد كبير، وكان في صلاة الظهر والعصر عدد كبير من المصلين في المسجد الأقصى ويجلسون بعد الصلاة يتلون القرآن أو يحضرون الدروس والمواعظ التي تلقى عليهم، ولم أجلس إلى أحد إلا وجدته منكسر الخاطر وجريح النفس، يحكي حكايات تدمع العين وتحزن القلب، وينتقد ملوك العرب وقادة البلاد".⁷²

شعر الشيخ الندوي بعد الوصول إلى القاهرة بأيام بضرورة أن يخاطب مصر خطابا يذكرها برسالتها ودورها ومكانتها، فكتب كلمة رائعة تحت العنوان "اسمعي يا مصر" نشرت في مجلة "الرسالة" السائدة، ثم نشرتها بعد مدة قليلة بمصر بهذا العنوان في صورة رسالة مستقلة، تلقفها الناس وتلقوها بشوق وورغبة واستحسان.⁷³ وعلق على هذه الرسالة الكاتب الإسلامي الكبير الشيخ سيد قطب قائلا في إحدى لقاءاته بالشيخ الندوي "قرأت (اسمعي يا مصر) وأرجو أن تسمع" فقال الشيخ الندوي ردا عليه "إذا سمعتم فقد سمعت مصر"⁷⁴ وفي 13/مايو عام 1951م لقي الشيخ الندوي مولانا أبا الكلام آزاد (وزير الهند) الذي كان يمر في طريقه إلى لندن، وجلس معه على مائدة الشاي يتحدث وأحاط به مراسلو الصحف يوجهون إليه أسئلة في سياسة الهند وأحرايمها وغاية سفره، وهو يجيبهم تارة بالإنجليزية وتارة بالعربية.⁷⁵

وألحق فيما بعد مذكرات الشيخ الندوي إلى لبنان بهذا الكتاب كما يذكر الشيخ الندوي قائلا "وقد فات المؤلف في هذه الرحلة أن يزور "لبنان" وقد كتبت له هذه الزيارة سنة 1956م، فدوّن مذكراتها، ونشرها في مجلة "البعث الإسلامي" بعنوان : "ثلاثة أيام في لبنان"، وقد ألحق هذا الفصل القصير بهذا الكتاب إتماما للرحلة، وإكمالا للكتاب".⁷⁶ وإذا بحثنا عن بواعث رحلته فوجدنا أن طلب العلم والمعرفة ونشر تعاليم السماوية التي جاء بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كان في البداية من الأسباب الجذرية التي دفعته للسفر من مكان إلى مكان آخر، ومن خارج وداخل شبه القارة الهندية أيضا كانت رحلة الحج رحلة تاق إليها قلبه منذ صغره، كما يتضح لنا من هذه المقالة الوجيزة المتواضعة، وإذا كان قد ارتحل لأداء مهمة عمل بجامعة أو مؤسسة فإنه يُحوّل هذه المهمة العظيمة

⁷² مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 254

⁷³ في مسيرة الحياة الجزء الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 227-228

⁷⁴ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 164

⁷⁵ المصدر السابق ص: 198

⁷⁶ مذكرات سائح في الشرق العربي للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص: 20

إلى هدفه الأساسي وهو الدعوة إلى الدين الإسلام الخالد إلى يوم القيامة.

وهذا واضح من خلال الكتب التي صدرت له بعد كل رحلة من الرحلات العامة أنه كان يتجول في بعض الأحيان عبر التاريخ حتى ينتبه الواقع، وقد أوردت في هذه الورقة الوجيزة نموذجا لرحلة الخيال عنده عبر التاريخ، ركزت رحلاته كلها على هدف واحد، وهو الدعوة الإسلامية إلى سائر الأمة من الأمم فإنه لم يهتم بالأمور الجغرافية أو الاقتصادية إلا قليلا، وركز على الأمور الثقافية والاجتماعية والحضارية، فنراه أنه يذكر الأحوال العلمية والثقافية في البلاد التي قام بزيارتها ويذكر العلماء والأدباء والمدارس وحلقات الدرس والأدب والجامعات والمؤسسات التعليمية والثقافية وما إلى ذلك، وأن هذه الصفات المتميزة التي تتجلى في شخصية الشيخ أبي الحسن علي الندوي. كما لخص الأستاذ عبد القادر بن عيسى باطاهر آراء الشيخ الندوي في أدب الرحلات مشيرا إلى ميزات رحلاته بأنها تتسم بالنقاط التالية وهي كما يلي:

- 1 يركز الشيخ الندوي على أهمية النظرة الشاملة للمجتمع الذي يكتب عنه الرحالة، فقد لاحظ أن كثيرا من كتب الرحلات يغلب عليها الجانب الجغرافي، وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء آخر، ولا تتناول في الغالب إلا جانبا من جوانب الحياة يتلاءم مع ذوق الأديب، فإذا كان الرحالة أديبا مثلا اقتصر على ذكر الأدباء المشهورين وتصوير الحياة الأدبية في تلك البلاد، وإذا كان مؤرخا اهتم بذكر الجوانب التاريخية وكل ما يمت بصلة إلى ماضي تلك البلاد، وهذا لا يعطي صورة متكاملة عن المجتمع والحياة، والعلاقات وأنماط السلوك السائدة، والعادات والتقاليد وغيرها من الأمور المهمة في أدب الرحلة.
- 2 ينبه الشيخ الندوي أيضا إلى ضرورة التسجيل المباشر للأحداث والمشاهدات من قبل الأديب لتبقي المشاعر والانطباعات حية في الذاكرة، لأنه إذا مر عليها زمان ولم تسجل فستفقد حيويتها وصدقها، فالأحداث والمواقف أشبه بالظلال والأمواج لا تدوم ولا تبقى في الذهن، ولا يستطيع الأديب أن يستعرضها بدقة وعناية بعد مرور فترة من الزمن، ولا يستطيع أن يستعيد ما شعر به، وما ترك الحادث فيه من أثر نفسي.
- 3 ويؤكد الشيخ الندوي دائما أهمية ظهور ذات الأديب وشخصيته في أدب الرحلة، فلا بد أن يعكس عاطفته وعقيدته في عمله، لأن هذا العمل إذا تجرد من العاطفة والعقيدة والمشاعر تحول إلى آلة تصوير باردة لا تؤثر في النفس ولا تصلح للبقاء.⁷⁷

مميزات هذا الكتاب العلمية والأدبية:

ومميزات هذا الكتاب أنه وصف وتصوير من إنسان حي يحمل القلب السليم والعاطفة الجياشة كما يبين الشيخ الندوي قائلا "الترم أن يبدي آراءه وملاحظاته، وانطباعاته على أثر مقابلة، أو زيارة، أو حديث أو مشهد، وما أحدثه من رد فعل، أو أثر نفسي، ويسجل كل ذلك في أسلوب صريح مكشوف، بعيد عن كل غموض وتحفظ، وعن كل

⁷⁷ المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الندوي للشيخ واضح رشيد الندوي ص: 41-42

مجاملة وتكلف، فهو وصف وتصوير من إنسان حي، يحمل القلب والعاطفة، والعقيدة، ويؤمن بماديء وقيم ومثل، ويحب هذه البلاد التي يزورها، ويرتبط بماضيها وحاضرها ومستقبلها، ويعتبر نفسه عضوا من أعضاء هذه البلاد، ويشاركها في آمالها وآلامها، ويشاطرهما في شقاءها وسعادتهما، ويرى الدين الإسلامي الذي أكرم الله به هذه البلاد، واختارها لتمثيله ونشره في العالم، المقياس في كل شيء، فيقيس به الأعمال والأخلاق، والرجال، وتلك ميزة لهذا الكتاب".⁷⁸

المنهج الذي رسم لنفسه في تسجيل الأحداث في هذا الكتاب:

ما هو المنهج الذي قد اختار الشيخ الندوي لنفسه في تسجيل الأخبار والأحداث التي عاشها خلال الرحلة؟ فلعل هذه التوطئة تمكننا من السؤال المهم في أذهان كل من يقرأ هذا الكتاب بأنه لماذا كتب الشيخ الندوي هذا الكتاب؟ وما هو المنهج الذي قد رسمه لنفسه؟ هذه التساؤلات تأتي في أذهاننا كما تأتي في أذهان الباحثين الآخرين على العموم والمشتغلين برحلة الشيخ الندوي على الخصوص، عندما نحاول للإجابة على هذه التساؤلات نجدها أن الشيخ الندوي قد أورد قائلا " قد التزم- صاحب الكتاب- في هذه الرحلات كلها أن يسجل كل حديث، وكل انطباع في يومه غالبا، وفي أقرب وقت إذا فاتته التسجيل في اليوم، وأن يتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، وتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الإمكان، فجاءت في الكتاب صور من الأساليب والآداب المحلية، يستفيد بها مؤرخ الأدب فيما بعد، ويتمثل القاري لهذا الكتاب بعد أن مضى عليه زمن شخصية المتحدث، وسماته الحقيقية، ويتمثل البيئة التي دونت فيها هذه المذكرات، وما كان يجيش فيها من صراع نفسي، واصطراع فكري، واضطراب اجتماعي، وقلق وتدمير، وثورة، وما كان يتمخض به هذا المجتمع من حوادث لم تقع، وشخصيات لم تولد، ومن تطورات لم تتضح، فجاءت هذه المذكرات مجموع صور ناطقة يستطيع القاري أن يعيش بها في هذه الفترة التي لا تعود أبداً".⁷⁹

لا شك فيه أن الشيخ الندوي كان محققا كبيرا ومؤرخا عظيما وأديبا بارعا وشخصية جلييلة وداعية عظيمة ولم يكن مفكرا إسلاميا بل يمكننا القول إنه كان مفكر البلاد والملة لأجل ذلك قد رفض دعوة عدة البلاد الإسلامية وأصر على أن يسكن في بلاده، وأنه حاول نشر المعارف الإسلامية عن طريق الكتاتيب والمراكز والجامعات ونحوها من المؤسسات الإسلامية والجمعيات الدينية في الشرق والغرب، وسعى إلى توحيد صفوف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها بواسطة المنظمات العالمية المختلفة، ونفخ في قلوب الشبان والطلاب المسلمين روحا دينية إسلامية جديدة عن طريق رحلاته الدعوية وجولاته العلمية الأدبية واستلفت أنظار المسلمين للعالم كله إلى نهضة إسلامية جديدة، وإلى ما يعاني فيه المسلمون من خسارة كبيرة بسبب انحطاطهم، فدعاهم بكل دقة وأمانة للحصول

⁷⁸ الأستاذ أبو الحسن علي الندوي كاتباً ومفكراً للشيخ نذر الحفيظ الندوي ص: 66

⁷⁹ مذكرات سائح في الشرق العربي للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص: 18

على الشرف والمجد المفقود بواسطة كتابه الشهير "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين".

أسلوب الكتاب الأدبي:

إذا قمنا باستعراض مؤلفات الشيخ الندوي وتقييم جهوده المتواضعة المشكورة فإننا نرى أن المؤلفات والمصنفات كلها تحتل مكانة بارزة في مجال العلم والأدب، وأما هذا الكتاب فإنه يمتاز بأسلوب رصين رفيع جذاب خلاب وشيق لا نظير له، فألفاظه لطيفة سهلة جدا، وكلماته ممتازة بديعة، وتراكيبه متينة أنيقة، لذلك عندما نبدأ بمطالعة هذا الكتاب نجد فيه طراوة ولذة وإبداعا كما يقول الدكتور سعيد الأعظمي الندوي "لقد كان سماحته في جميع هذه الأحاديث والمحاضرات واللقاءات والكلمات معتمدا على التعبير العربي الجميل والكلام المؤثر القوي يتجلى فيه أسلوبه الدعوي والفكري المتميز، وقد وفق بذلك إلى إنشاء مدرسة أدبية تخرج منها جيل من الأدباء، والكتاب الإسلاميين ممن عرفوا بأسلوب دعوي مبدع... ليس كل ذلك إلا نفحة أدبية من نفحات هذا الرجل العظيم".⁸⁰ وكذلك يعلق على لغة الكتاب الأدبية النادرة الممتازة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم حيث يقول "أما عن لغة الرحلة سواء ما كتب بالعربية أو الأردية فيكفي أن نشير إلى أن الشيخ أبا الحسن الندوي أديب يشهد له الجميع إذا ما كتب بالأردية أو العربية، وقد ساد الطابع الأدبي كتاباته وزخرت مادة رحلاته بالعناصر الأدبية مما يجعلنا نطلق على كتاباته "أدب الرحلة" بحق، فرحلاته صدرت على مستوى أدبي رفيع، ضمنها الأشعار والأمثال والحكم، وزين سطورها بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي ربما احتاج إليها للتعليق على موقف أو الفصل في قضية ما، وكانت المشاعر الفياضة تغلب على شيخنا فتفيض على أسلوبه فتأتي لغته العربية أو الأردية رفيعة المستوى عظيمة الثر والإمتاع مما يجعل لرحلاته قيمة أدبية نظرا إلى روعة الأسلوب الذي يصل بها إلى مستوى الخيال الفني في معظم الأحيان".⁸¹

خلاصة البحث :

إن الشيخ أبا الحسن علي الندوي بصفته أدبيا كبيرا وكاتباً شهيراً قدم في تأليفاته النماذج الأدبية التي يتعجب بها الأدباء والكتاب العرب، وقد تأثروا للغاية، حتى قبلوه وتسلموه من دون شك وتردد أدبيا هندية بارعا بإجماع، حتى أدخل معظم كتبه في المنهج الدراسي في الجامعات الإسلامية في العالم العربي، وبالطبع كان يمتاز بشخصية كبيرة تتجلى فيه سمات بارزة مختلفة في وقت واحد، من أجل ذلك قال عنه الشيخ مناظر أحسن كيلاني "إن ما تحققه أكاديمية في أوروبا يقوم بتحقيقه رجل واحد عندنا في الشرق".⁸² وأما الكتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي" للشيخ أبي الحسن علي الندوي ليس مذكرة من المذكرات فحسب بل أنه سجل تاريخي واجتماعي وثقافي قام

⁸⁰ ثقافة الهند عدد ممتاز عن الشيخ أبي الحسن علي الندوي المجلد 52 العدد 4، 2001م ص: 281

⁸¹ المصدر السابق ص: 85/284

⁸² ثقافة الهند عدد ممتاز عن الشيخ أبي الحسن علي الندوي المجلد 52 العدد 4، 2001م

الشيخ الندوي فيه بتسجيل كل أحاديثه ووقائعه ومشاهداته وخواطره انطباعاته ولقاءاته ومحاضراته التي مرت به خلال الرحلة إلى جمهورية مصر العربية، وكذلك يبدو لنا من خلال هذا الكتاب أنه يلقي نظرة عميقة على البلاد التي زارها، ويذكر المحسنات والسيئات التي توجد في تلك البلاد وبعد العودة منها يكتب رسالة قيمة إلى الحكام مشيراً إلى السيئات التي تشهد به البلاد، وبالجمل أن هذا الكتاب هدية نادرة لمن يريد الإمام برحلات الشيخ الندوي وتحفة نادرة لكل من يريد أن يقوم بالدعوة والتبليغ على نطاق واسع.

المصادر والمراجع:

1. الغوري، السيد عبد الماجد، : أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق بيروت الطبعة الثالثة 2005م.
2. الندوي، د/ محمد أكرم، : أبو الحسن الندوي العالم المربي والداعية الحكيم، دار القلم دمشق الطبعة الأولى 2006م.
3. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : في مسيرة الحياة، في ثلاثة أجزاء، دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1987م.
4. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : كاروان زندكي (الأردية) في سبع مجلدات، مكتبة اسلام 172/54 محمد علي لين كوئن رود لكهنؤ طبعة عام 1994م.
5. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : مذكرات سائح في الشرق العربي، دار ابن كثير دمشق- بيروت طبعة دار ابن كثير الأولى 2001م.
6. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : من بيته إلى بيت الله (بالأردية)، مكتبة إسلام 172/54 محمد علي لين كوئن رود لكناؤ 2013م.
7. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : من نهر كابل إلى نهر اليرموك، دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع أنقره 1974م.
8. الندوي، طارق زبير، : سماحة الإمام الداعية الشيخ أبي الحسن علي الندوي باللغة العربية، مكتبة حراء لكناؤ الطبعة الأولى 1998م.
9. الندوي، الشيخ نذر الحفيظ، : الأستاذ أبو الحسن علي الندوي كاتباً ومفكراً، رابطة الأدب الإسلامي ندوة العلماء لكهنؤ الهند طبعة عام 1994م.
10. الندوي، الشيخ واضح رشيد، : المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية لكناؤ (الهند) الطبعة الأولى 2004.
11. مجلة "ثقافة الهند" عدد ممتاز عن الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، 2001م. الصادرة عن مجلس الهندي للعلاقات الثقافية في نيودلهي الهند.

القصة ودورها في تربية الأطفال

الدكتور معراج أحمد معراج الندوي

الملخص:

تحتل القصة مكانة متميزة عند الأطفال بما تمتلك من قوة تأثير ومنتعة لا يملكها غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى الموجهة إلى الأطفال. لذا تعد القصة أحد الأساليب الفعالة في التثقيف وفي تنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة، هذه المرحلة التكوينية المهمة من مراحل نمو الشخصية الإنسانية. فالقصة من العوامل المهمة التي تعمل في تربية وجدان الطفل ونشر الاتجاهات الإيجابية لديه وترسيخها، فتجعله قادرا على التمييز بين الصواب والخطأ، وفي غرس القيم السامية وصقلها بما لها من قوة تأثير في التوجيه والتغيير. ولاغربة أن تحتل القصة مساحة واسعة في الأدب المعاصر على اعتبار أنها أسلوب من أساليب التعليم والتثقيف والتربية. تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهمية القصة في تربية الأطفال وفي تكوين شخصيتهم في مرحلة الطفولة.

المدخل:

تأتي القصة في المقام الأول من أدب الأطفال، وأدب الأطفال هو نوع من الفن الأدبي يشمل أساليب مختلفة من النثر والشعر للأطفال دون عمر المراهقة. أدرك الباحثون أهمية القصة في تكوين شخصية الأطفال ودورها في الجوانب المختلفة للنمو، فبدوا بالاهتمام بها وعكفوا على تطويرها لتناسب مع المراحل العمرية التي يمر بها الطفل. وللقصة أثر بالغ في تنمية الجوانب النفسية عند

الأطفال في هذه المرحلة لما فيها من الحوار والتأمل في النفس والقذوة الحسنة. تساهم القصة في ترقيق العواطف والوجدان وتنمية المشاعر والإحساس وتخفيف التوترات الانفعالية وتخليص النفس من الانفعالات الضارة وتكوين الميول والاتجاهات. تعتبر القصة بالنسبة للأطفال وسيلة تربية وتعليمية ذات تأثير عظيم. ولقد استخدمت القصة في التربية على مر العصور الإنسانية للأطفال سواء كان قيمًا دينية أم أخلاقية أم توجهات سلوكية أو اجتماعية.

القصة: القصة لغة مشتقة من قص يقص قصا من باب نصر معناها اتباع أثر وآثار.¹ أما في الإصطلاح فهي حكاية نثرية طويلة أو قصيرة تستمد وقائعها وأحداثها من الخيال أو الواقع. فالقصة عبارة عن سرد الحكاية أو مجموعة من الأحداث. إن أساس القصة هو التعبير عن تجربة إنسانية في شكل حكاية بليغة تصويرية مؤثرة.² هذا اللون الأدبي تسرد فيه واقعة أو جملة وقائع تستمد موضوعاتها من الواقع أو الخيال أو منهما معا، وتبنى على قواعد معينة. ولها مقومات أساسية تتمثل في الأحداث والشخصيات والبيئة والبناء الفني والأسلوب. القصة من أشد ألوان الأدب تأثيرا في نفوس الأطفال لأنها تتضمن تلك المثيرات الباعثة على تشكيل سلوكهم وتكوين شخصيتهم. فالقصة أحد الأساليب الفعالة في التثقيف والتنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة. هذه المرحلة التكوينية المهمة من مراحل نمو الشخصية الإنسانية. وكان من وظيفتها أنها تساعد الإنسان في حفظ الحوادث والوقائع تعتمد عليها لتربية الأطفال وتعريفهم بمفاخر الأسرة والأمجاد الأكابر. كان الأجداد والجندات تحكي لأطفالهم قصص الأساطير والغيلان تسلية لأنفسهم ومتعة لأذهانهم، لأن تؤثر القصة تأثيرا بالغا وتساعد على توصيل الأفكار.

أهمية القصة: عرف الإنسان أهمية القصة في حياته منذ القدم، لها من سحر يسحر ويؤثر على النفوس حيث اعتبرت كوسيلة من وسائل العلمية التعليمي. واتخذت القصة لغرس بعض القيم

الدينية والخلقية والاجتماعية في نفوس الأطفال. للقصة دور في التأثير والإقناع والتربية والتعليم. للقصة أهمية كبرى في حياة الطفل لما تحمله من قدرة على شد انتباه الطفل وجذبه وتقود إلى إثارة العواطف والانفعالات لدى الطفل. إن أهمية القصة ليست ثقافية فحسب بل تشمل كل حياة الطفل بجميع جوانبها. تنبع أهمية القصة للطفل من أهداف القصة ومهمتها التربوية، وتعد قراءة القصة للطفل في سن مبكرة من العوامل المساعدة في النمو اللغوي والجسمي والثقافي والديني للطفل وفي تكوين شخصيته والوصول بها إلى درجة من النمو والنضج، تسمح للطفل أن يعيش حياته مستمتعاً بها ومتفاعلاً مع البيئة التي يعيش فيها بمدخلاتها المتعددة.ⁱⁱⁱ للقصة أهمية قصوى بالنسبة للأطفال إذ إنها تغرس في نفوسهم القيم والمبادئ وتنمي جوانب شخصيتهم الحسية والعقلية والروحية، فالطفل يعيش القصة ويتخيل نفسه بطلاً فيها خاصة إذا كانت أحداثها واقعية، فهي تحرره من واقعه وحدوده التي يعيش فيها إلى عالم واسع فسيح.

وتتضمن أهمية القصة:

- 1- القصة عطي الطفل فرصة لتحويل الكلام المنقول إلى صور ذهنية خيالية، أي أنها تنمي خيال الطفل.
- 2- القصة خبرة مباشرة يتعلم الطفل من خلالها ما في الحياة من خير وشر وتمييز بين الصواب والخطأ.
- 3- تساعد القصة في تقريب المفاهيم المجردة إلى ذهن الطفل من خلال الصور.
- 4- القصة مصدر عام لتعلم القيم والعادات السليمة.
- 5- تمنح القصة الطفل التذوق الفني وحب القراءة لديه وتزيد من الثروة اللغوية.
- 6- تساعد القصة الطفل على النمو الاجتماعي.

7- القصة لها دور ثقافي كبير في حياة الطفل.

8- تساعد القصة في بناء شخصية الطفل.

9- تقدم القصة الحلول للعديد من المشكلات التي تواجه الطفل في حياته اليومية.

10- الطفل يتفاعل مع القصة ويتوحد مع شخصياتها فمن خلال تفاعله يكتسب العديد من

الخبرات والقيم والاتجاهات وتنمي الجوانب المختلفة لديه:

أهداف القصة:

إن القصة لها أهداف محددة تقصدها وأفكار معينة تريدها وهي تخاطب اللاشعور في الإنسان وتحاكي وجدانه من حيث شعر بذلك أم لم يشعر فإنها تخزن في عقله الأفكار. والطفل الصغير الذي لا يميز بين الحق والباطل أو بين الصواب والخطأ. وقد تأثر ذهنه بالقصص التي يسمعا أو يحفظها والتي أثرت فيه تكون هي راسمة له في المستقبل لحياته. وتتعدد الأساليب التربوية التي تتحقق بها التربية الإسلامية الشاملة للطفل.^{iv} ومن تلك الأساليب: أسلوب التربية بالقُدوة، وأسلوب التربية بالعادة، وأسلوب التربية بضرب المثل إلا أن من أنجح تلك الأساليب، ومن أقواها أثراً تربوياً في الطفل أسلوب التربية بالقصة نظراً للميزات التي امتازت بها، والسمات التي انفردت بها دون غيرها من الأساليب، ونظراً لطبيعة البشر التي ترفض التوجيه المباشر وتنفر منه، ولطبيعة التعلم الأولى التي يتعلم بها الطفل.^v وتُعد القصة من أقوى عوامل استثارة الطفل، والتأثير فيه تأثيراً لا ينحصر على وقت سماعه أو قراءته، وإنما يتجاوز إلى تقليد ما يجري فيها من أحداث، وما تنطوي عليه من شخصيات ووقائع وسلوك وأخلاق في حياته اليومية الواقعية.^{vi}

عناصر القصة:

إن العناصر هي المكونات الرئيسية للعمل أما الخصائص فهي المحدد الأساسي للعمل، بمعنى أدق

إن افتقاد العمل لأحد عناصره لا يؤثر في تحديد هوية العمل. تتضمن قصة الأطفال العناصر الأساسية الآتية:

1. الموضوع: هو الفكرة التي تبنى عليها القصة. تتكون المادة الأولية لموضوع القصة من خلال التجارب التي عاشها الكاتب أو الشخصيات التي عرفها والمواقف التي تعرض لها أو من خلال ثقافته ومعارفه، أو من التاريخ والوثائق. وكل ذلك يشكل المادة الأولية لخيال الكاتب وإبداعه. قد تكون موضوعة واحدة، وقد تكون أكثر من ذلك. ويشكل القاص الموضوعة من خلال نسج الحبكة القصصية. ولا شك أن موضوع القصة ينبغي أن يكون مثيرا لاهتمام الطفل ويتناسب مع المرحلة العمرية التي يوجهه إليها الكاتب قصة.

2. الفكرة: الفكرة في القصة هي جزء من الموضوع الذي تتضمنه القصة. ويعد حسن اختيار الفكر عاملا مهما في نجاح القصة. وهي الأساس الذي يقوم عليه بناء القصة، والهدف المراد بلوغه من وراء تفاعل الأحداث، وتحرك الشخصيات.^{vii} ومن سمات الفكرة التي ينبغي مراعاتها في قصة الطفل أن تراعي خصائص نموه وطبيعة مرحلته.^{viii} وأن تكون بناءه تدعو للفضائل وتنفره من الرذائل وتمده بالمعارف والمعلومات التي تسهم في بنائه ونموه وتشير إلى

القدوات المنشودة من السلف الصالح أو النماذج المعاصرة

المثلى.^{ix}

3. الأحداث: وهي مجموعة الوقائع التي تقوم بها شخصيات القصة، والأحداث التي التي تدور حول الفكرة العامة من البداية إلى النهاية في نسيج متكامل.^x ثم ما تلبث أن تتسارع تدريجياً وتنمو بينها الصراع مع نمو حركة القصة حتى تصل إلى العقدة وهي قمة الأحداث التي تتكشف وتنحل مع الوصول إلى الخاتمة والنهاية بطريقة منطقية مقنعة.^{xi}

4. الشخصيات: تعد الشخصيات العمود الفقري للقصة؛ إذ ترتبط بها الأحداث فلا يمكن أن يقوم الحدث دون شخصيات، ولا يشترط في الشخصيات أن تكون إنسانية، قد تكون الشخصيات في القصة بشرا أو حيوانات أو جمادات أو كل ذلك. وقد تكون شخصيات خيالية لا وجود لها في أرض الواقع، أو هي مزيج ما بين أجزاء واقعية وأخرى متخيلة. الشخصيات في القصة لها سماتها وملامحها التي يرسمها القاص ويغير فيها عبر مسار القصص. ومن الشخصيات من هو رئيسي، ومنها من هو ثانوي. والثانوي قد لا يقل عن الرئيسي أهمية في رسم ملامح القصة وتحديد بعض محطاتها.

5. البيئة: البيئة لها أهمية كبيرة في القصة. البيئة هي التي تجري فيها أحداث القصة. فهناك قصص يمكن أن تجري في أي مكان وزمان، فلا يؤثر ذلك على مسار القصّ، وهناك قصص أخرى يبدو فيها الزمان والمكان ظاهرين ومؤثرين وفاعلين في ما يجري من أحداث. البيئة هي الزمن والمكان اللذان يقع فيهما الحدث، ووصفهما يساعد الطفل على تصور الحدث. وقد يقع الحدث في المتزل أو الشارع، كما قد ينقل الطفل إلى حديقة الحيوان أو إلى الغابة. أما بالنسبة للبيئة الزمنية فقد تكون في الصباح، في فصل الربيع أو في يوم من الأيام.
6. الصراع: يشكل هذا العنصر الهيكل الرئيسي في القصة. هو تلك المواجهة التي نراها في القصة. الصراع هو التصادم بين إرادتين بشريتين. وهو حدث مؤثر في القصة. وتلك القوة قد تكون مادية كالصراع بين شخصين أو جيشين أو معنوية كالصراع بين الإنسان وشهوته أو القدر.

ينقسم الصراع إلى نوعين:

الأول: الصراع الخارجي الذي يكون بين شخصيات القصة المختلفة.

الثاني: الصراع داخلي الذي يحدث في داخل الشخصية نفسها.

قد تكون نزاعا بين أناس على أمر ما، أو قتالا، أو سوء فهم،

أو التباسا، أو صراعا بين شخص والطبيعة. وقد يتجلى هذا الصراع على هيئة مواجهة ما بين الأفكار والقيم داخل شخصية واحدة أو شخصيات. يستمر الصراع في العادة إلى أن يُحلّ أو يتخذ مسارا آخر.

7. الحبكة: الحبكة هي مجموعة أو سلسلة الأحداث التي تجري في القصة متصلة ومرتبطة فيما بينها، وهي تسلسل الحوادث التي تجري فيها بين الشخصيات، أو هي السياق الذي تجري فيه هذه الحوادث. تمثل الحبكة ما يرسمه القاص من أحداث في علاقاتها المتشابكة، وحيث أن حدثا يُفضي إلى آخر، ويكون سببا فيه، فإن الحبكة تمثل علاقة بين سبب ومسبب، قد يُظهرها القاص أو يترك استنتاجها للقارئ. فالحبكة ليست أحداثا مسرودة فحسب، وإنما هي الأحداث في علاقات بعضها بعضا.

8. الحوار: الحوار هو ما يدور من حديث بين الشخصيات في قصة، وهو يشكل جزءاً فنياً هاماً من عناصر القصة، لأنه يوضح طبيعة الشخصية التي تفكر بها ومدى وعيها بالقضية أو المأساة التي تشكل حياتها المختلفة.^{xii} تعتبر الحوار من أهم عناصر التأليف المسرحي، فهو الذي يوضح الفكرة الأساسية ويقوم برهانها، ويجلو الشخصيات ويفصح عنا، ويحمل عبء الصراع الصاعد حتى النهاية. هذه المهمة يجب أن يضطلع بها الحوار وحده ولا يعتمد في

شيء من ذلك على الشروح و التعليمات، التي يضعها الكاتب بين الأقواس فهذه أنما توضيح لمساعدة المخرج على فهم ما يريد الكاتب مما هو مستكن داخل الحوار لا مما هو خارجه.^{xiii} للحوار وظيفة فنية في سبر أغوار النفسية الإنسانية، وإحقاء الحيوعية على السرد القصصي الذي قد يكون مملاً إذا كان وصفاً باهتاً، فضلاً عن أن الحوار مجال لأبرز عناصر الصراع الخارجي والداخلي بين الشخصيات.^{xiv} والحوار وهو المحادثة أو الكلام الذي يدور بين الشخصيات، ومن خلاله يتعرف الكاتب على مضمون القصة، كما يتم من خلاله تقديم الشخصيات المختلفة والأحداث جميعها تتعاون لتكون عملاً أدبياً بصورة مثالية فاعلة.

9. الأسلوب: الأسلوب هو طريقة الكاتب في صياغة الجمل، واختيار الكلمات المعبرة عن فكرة قصته.^{xv} والأسلوب الجيد هو الأسلوب المناسب لموضوع القصة وأحداثها وشخصياتها الذي يخلق جو القصة ويظهر الأحاسيس فيها ويلاءم الفئة العمرية التي سيُقدم له.^{xvi} الأسلوب يرتبط بالطريقة التي تتناسق فيها الألفاظ والجمل؛ أي يرتبط بشكل الرواية الداخلي والخارجي، وما يترتب عليه من إيقاع. فالأسلوب إذن سيكون حينها؛ هو الكيفية التي تروى بها القصة، وعلى هذه الشاكلة، يكون الأسلوب هو الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب.

القصة وأنواعها:

تتضمن القصة الكثير من الأمثلة والحكمة والمواظب والعبر. لها أنواع كثيرة حسب الموضوع أو الغاية كالقصة الدينية والقصة التاريخية والقصة الاجتماعية وقصص الحيوانات والقصص الفكاهية خاصة بالأطفال. ومن أهمها كما تلي:

القصص الخيالية: إن العقل معالج فعال للقصص الحقيقية والخيالية. وتعتبر هذه القصص التي تشتمل على الصور أدوات تعليمية ممتازة. تقوم القصة الخيالية على افتراض أبطال وشخصيات وأفعال خارقة للعادة لا وجود لها في الواقع كما تعزز عند الأطفال المعرفة بالكون والكائنات الطبيعية الذي تجعل الطفل أكثر وعياً بالحقائق التي تحيط به. ومن ثم يتحول الأطفال بالتدريج إلى الاقتراب من الحقيقة، من خلال الانغماس بين صراع الخير والشر كما أنها تجعل الأطفال أكثر وعياً بالعالم.^{xvii}

القصص التاريخية: تركز القصص التاريخية بالأساس على الأحداث التاريخية المتنوعة وتجعل الطفل يعمل على ترقية شعوره بالإنتماء إلى الوطن والوطنية وتنمي فيه روح المسؤولية والبطولة والإقدام. تعتبر القصة التاريخية مهمة للطفل لأنها تعمل على تنمية الشعور بالانتماء والكرامة الوطنية وأيضاً تنمي روح البطولة والفخر عن طريق ما يقرؤونه من سير الأبطال العظام.

القصص الاجتماعية: إن القدرة على توقع أفعال الآخرين وفهم مشاعرهم تسهم إلى حد كبير في تيسير التفاعل الاجتماعي والتواصل وتبادل الأفكار مع

الآخرين. القصص الاجتماعية تعد طريقة لتعليم المهارات الاجتماعية للأطفال إذ تقدم معلومات دقيقة عن المواقف الاجتماعية التي يجدها صعبة. وهي تركز على النقاط الأساسية كالعمليات الاجتماعية المهمة والأحداث وردود الأفعال المتوقع حدوثها تجاه الأحداث في مواقف مشابهة. تهدف القصص الاجتماعية إبراز الموقف الاجتماعي من خلال قصة قصيرة مبسطة مكتوبة من منظور الطفل تقدم له معلومات معينة تفيده في حياته اليومية. وهي مهمة للأطفال حيث أنهم يعيشون في مجتمع ما ويتعاملون ويتفاعلون مع هذا المجتمع، ومن الضروري أن يتعرفوا على هذا المجتمع وخصائصه ومظاهر الحياة فيه وأنواع الحرف والمهن وعاداته وتقاليده. تتناول القصص الاجتماعية الأسرة والروابط الأسرية والمناسبات المختلفة ومظاهر الحياة في البيئات المختلفة.

القصص الواقعية: هذا النوع من القصص يناسب الأطفال في نهاية مرحلة الطفولة لأن الأطفال يبدوون في التحرر من خيالهم نتيجةً لزيادة وكثرة اتصالهم بالمجتمع، فيميلون إلى معرفة حقيقة الحياة المحيطة بهم والطبيعة والحيوانات والرحلات والعلوم المختلفة. ويجب أن تقدم هذه القصص بشيء بسيط من الخيال لتناسب مع قدرتهم على التفكير الاستيعاب في هذه المرحلة العمرية. في نهاية مرحلة الطفولة تصبح هذه القصص الواقعية تناسب مستواهم الفكري والعقلي ويبدأون في التحرر من الخيال نتيجة وعيهم واحتكاكهم بفئات المجتمع ويصبح الطفل في هذه

المرحلة أن يتميز بين الحقيقة والخيال.

القصص العلمية: هي القصص التي تدور أحداثها حول مواقف وأحداث علمية أو تتناول في محتوياتها ابتكارات واختراعات علمية وتكنولوجية، وهذه القصص تنمي خيال الطفل وتوسع قدراتهم الفكرية والعقلية. ومن خلال القصص العلمية ، يستطيع الطفل أن يتعلم ما في الحياة من خير وشر وبدأ يميز الفرق بين الصواب والخطأ تتوفر هذا القصص القدرة على التفكير في اتخاذ القرار بما يساعد على تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، وذلك عن طريق التحكم في نوع الخبرات المقدمة له بطريقة القصة.

القصص الفكاهية: القصص الفكاهية من الآداب الشيقة والممتعة، فهي نزهة النفس وربيع القلب ومرتع السمع ومجلب الراحة ومعدن السرور، ولا يمكن أن نتصور العالم من دون فكاهة أو نتصور الحياة عابسة مقضبة الجبين مقفهرة المظهر. والفكاهة لا تهدف فقط إلى إضحاك المستمع بل إن لها في حالات كثيرة رسالة نقدية إصلاحية تصريحًا أو تلميحًا أو تربويًا. وهي قصة تتركز حول موقف يبعث على الفكاهة وهي تعكس صورة للمجتمع عادات الناس. القصة الفكاهية من أحب وأمتع القصص إلى نفوس الأطفال لما لها من مواقف بهلوانية وصور معبرة تدخل السرور والمرح في نفوس الأطفال.

القصص الدينية: تتناول القصص الدينية مواضيع دينية كالعبادات والعقائد وسير الأنبياء وقصص القرآن الكريم. فهي تعطيهم المثل الأعلى

والقيم الروحية والقُدوة الصالحة التي يقتدون بها في حياتهم العامة. تحتل القصة الدينية في تربية الأطفال بحيث يتم انتقاءه قصصاً تربوياً إسلامياً يحقق أهداف التربية الإسلامية للطفل. القصة الدينية ، مصدرها القرآن الكريم أو السيرة النبوية أو سير الأنبياء والمرسلين أو حياة الصحابة والصالحين وتاريخ الإسلام. وهي من أهم أنواع قصص الأطفال وأكثرها انتشاراً وتأثيراً في وجدان الطفل وإذا أحسن كتابتها. فمن الممكن أن تساهم في التنشئة الدينية للطفل وإكسابه المفاهيم الدينية الصحيحة والسليمة.

القصة وتأثيرها على نفوس الأطفال:

تحتل القصة مكانة متميزة عند الاطفال وتُفوق أنواع الأدبية الأخرى بما تتمتلكه من قوة تأثير وممتعة لا يملكها غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى وتساهم القصة في مساندة الطفل في التعلم وإكتساب القيم الاخلاقية. القصة من أشد ألوان الأدب تأثيراً في نفوس الأطفال إذا تضمنت تلك المثيرات الباعثة على تشكيل سلوكهم وتكوين شخصياتهم. تؤثر القصة نفوس الأطفال من كل ناحية من نواحي الحياة وتترك أثراً واضحاً على الجانب العقلي والجانب الاجتماعي والجانب النفسي:.

1. الجانب العقلي: تعمل القصة على إكساب الطفل الكثير من

المعلومات وتساعد في غرس القيم والمبادئ الخلقية السليمة التي

تساهم في تربيته وتوجيهه لأن النمو العقلي يخضع لمظاهر تطور

العمليات العقلية المختلفة التي تبدأ بالمستوى الحسي الحركي

وتنتهي بالذكاء والانتباه والتخيل والتفكير. توسع القصة الخيال

والتخيل وتغاطب العواطف والوجدان من خلال الصور الإبداعية الخلقية.

2. الجانب الاجتماعي: تحتوي القصة على اتجاهات اجتماعية، فهي تعمل على غرس القيم النبيلة عند الطفل وترسيخ القيم الفاضلة وحب الخير، فالقصة من خلال كلماتها ومضمونها تحتوي على أهداف اجتماعية تبرز للطفل القيم الحميدة وتشعره بالانتماء لمجتمعه كما أنها تنمي العادات الاجتماعية السليمة من كرم وتعاون وحب وإيثار وتضحية وصدق ووفاء وتكسبه مهارات التواصل مع الآخرين.

3. الجانب النفسي: للقصة دور فعال وإيجابي في النمو الانفعالي للطفل، فمن خلالها ينفس الطفل عن مشاعره المكبوتة وانفعالاته الضارة ويخفف من حدة القلق والتوتر، وبها يدخل السرور والبهجة على نفسه ويتعلم المشاركة الوجدانية كما أنها تنمي مشاعر العطف والحنان عند الأطفال من خلال التعاطف مع الضعفاء في أحداث القصة والإحساس بمعاناتهم. تساعد القصة في العلاج الطبي والنفسي للأطفال كما تستخدم القصة كأداة مهمة في علاج الاكتئاب والاضطراب والمخاوف المرضية.

القصة ودورها في التعليم والتربية:

إن الأطفال يميلون بفطرتهم إلى القصة، فمن الطفولة بالكرة، منذ أن يقدر الطفل على فهم لغة القصة يحبها ويحرص على سماعها ويستغرق فيها إذا حكيت له، مشغولاً بمتابعة حوادثها وتخيل شخصياتها وتوقع ما يحدث من هذه الشخصيات. كل هذه العوامل تجعل من القصة خبرة تعليمية فنية قوية التأثير، عميقة الأثر. لا شك أن القصة من الفنون القديمة التي استخدمت على مر العصور لأغراض كثيرة وكان لها وقعها الكبير على المستمع بحيث صارت تشكل جزءاً مهماً من الثقافة لكل مجتمع وكل أمة، وذلك لأنها تحكي عن واقع أو عن طريقة تفكير حتى في مسألة الخيال والتخيل فإنها تعكس نوعاً من الثقافة التي يعيشها أي مجتمع. وإذا كان هذا حال القصة فإنها تكون وسيلة كبيرة في تثقيف أي مجتمع أو أي شخص بالأفكار. تؤثر القصة بطريقة مباشرة وغير مباشرة في عقل الطفل ووجدانه. وإذا كان أسلوب القصة له أثر كبير على طريقة تفكير عقل الطفل كان لازماً على المربين الاهتمام بهذا الجانب لا سيما أنه أول مدرسة يتعلم فيها الطفل. إن القصة وسيلة من الوسائل التربوية لإعداد النشئ، بل تعد من أقدم هذه الوسائل ولقد استخدمت القصة في التربية على مر العصور الإنسانية، واستقر رأي رجال التربية وعلماء النفس على أن الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال سواء كان قيماً دينية أم أخلاقية أم توجيهات سلوكية أو اجتماعية. ولا تزال القصة هي فارس الميدان الأول في وسائل التربية والتوجيه، وهي الأقوى تأثيراً والأكثر جذباً للأطفال. لأن القصة هي من المركبات الأساسية في حياة الطفل، إذ تعمل القصة على تصور جوانب الحياة وتعبر عن العواطف الإنسانية وتصف الطبيعة وتشرح الحياة الاجتماعية. إن أهمية القصة ليست ثقافية فحسب، وإنما تشمل كل جانب من جوانب حياة الأطفال.

القصة ودورها في إصلاح العقيدة والسلوك:

لا ريب في أن للعقيدة التي يحملها الإنسان أثراً واضحاً في توجيه سلوكه وتصرفاته. العقيدة هي الأساس تبدأ به تربية النفس الانسانية. ولا يخفى أثر القصة على نفسية المستمع سواء كان صغيراً أو كبيراً. تأتي أهمية القصة الدينية في ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفس الطفل وربطه بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وبالتاريخ الإسلامي المجيد وتبصير الطفل بالقيم الخلقية الفاضلة. لذا فإن أول واجب على الوالدين القيام به هو غرس عقيدة التوحيد في نفس الطفل دون كلل ولا ملل. فالعقيدة لابد أن تنعكس على الانسان وسلوكه. قد اعتمد المربون في استخدامها كوسيلة في بث الفكر في إصلاح العقائد والسلوك، وذلك لأن الهدف التربوي يقوم على أساسين:

الأول: البناء وهو ما يراد منه تزويد المستمع بالفكر الحي الذي يجب أن يتخذه منوالاً في

حياته كما ينمي فيه الفطرة السليمة.

الثاني: الحماية لهذه الفطرة من الانحراف وذلك من خلال تصوير مشاهد مخيفة

للمستمع أو عواقب للأمر ونهايته المحزنة بحيث يتعظ منه ويبتعد عن فعله.

تكمن أهمية هذا النوع من الأهداف في أنه يجعل العقيدة الإسلامية تصل إلى الأطفال عن طريق

الربط بينها وبين جميع حواسهم وملاحظاتهم ومداركهم. ومن تلك الأهداف العقدية محبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم والتسليم ، وذلك عن طريق السيرة النبوية

وقصص الأنبياء المستمدة من القرآن الكريم والسنة الكريمة. فيزداد ارتباطه بالقرآن ويعلم علم

اليقين أنه المصدر السابق لتلك القصص وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. تساعد

القصة في ترسيخ العقيدة في نفوس الاطفال وتوثرهم في التفكير والسلوك كما تساعد القصة في تنمية

ملكة الخيال عندهم في تكوين أفكار جديدة من خلال التحليل والربط والاستنتاج وتقودهم إلى

اكتساب قيم نبيلة واتجاهات لازمة. هكذا تزود القصة الطفل بمختلف الخبرات الثقافية والوجدانية ولنفسية والسلوكية.

القصة ودورها في بناء المستقبل:

المستقبل هو ذلك الزمان الذي سيقع بعد وما يتخلله من أحداث واقعة فيه وفي حيزه، والنظرة المستقبلية أو القراءة للمستقبل تكون من خلال التأملات لما يحدث فيما بعد وذلك بقراءة الحاضر. وقراءته تكون بملاحظة التكوين العقلي للأمة وللأفراد. وتأتي أهمية هذه القصص للأطفال لأنها تنمي خيالاتهم وقدراتهم العقلية، فإثارة الخيال وتنميته يؤدي إلى تنمية التفكير لدى الأطفال. إن أنواع القصص المقدمة للأطفال من حيث كونها دينية أم اجتماعية أم تاريخية أو غيرها تؤثر على لغة الطفل واكتسابه للمفردات حيث أن لكل نوع مفرداته الخاصة به وبذلك يصبح تنوع في المفردات التي يكتسبها الطفل. ولقد أثبتت معظم الدراسات أن القصة هي الأكثر انتشاراً بين الأطفال وأن لها القدرة على جذب انتباههم، فهم يقرؤونها أو يستمعون إليها بشغف، ويتابعون أحداثها بمتعة وتركيز وانفعال وينخرطون مع أبطالها ويتعاطفون معهم ويبقى أثرها في نفوسهم لفترة طويلة. ومن المعروف أن القصة لا يقتصر دورها على تنمية اللغة عند الطفل، بل تتعدى ذلك إلى أن يصبح عند الطفل طلاقة لغوية من خلال شغفه بالقراءة وإقباله عليها، فالقصة بألفاظها السهلة وكلماتها البسيطة ومضامينها الرائعة ومخاطبتها لعقل الطفل تجعله يقبل عليها بكل شغف ويعتقد أن كل مايقع بين يديه يشبه القصة فيقرؤه بحماس، فتتطور لديه مهارات الكتابة لأنه يريد أن يوظف هذه العبارات والكلمات التي اكتسبها فيصبح كاتباً بارعاً في المستقبل.

القصة ودورها في تنمية الإحساس الإبداعي عند الطفل:

التفكير الإبداعي من أهم المهارات التي تعتمد عليها التكنولوجيا المبتكرة والتقنيات الحديثة.

والخيال في الفن يعد من أهم مكونات العملية الإبداعية، فهو يشكل نشاطاً عقلياً يوجهه الفكر الإبداعي. فالخيال بشكل عام له دور مهم في تطوير تنمية الإحساس الإبداعي عند الأطفال. ومن الملاحظ عندما تتلى قصة على طفل فإن ذهنه يخلق بعيداً في عالم القصة ويقوم عقله برسم صور للأبطال وللأشخاص الموجودين في القصة وإلى الأماكن التي ذكرت والملابس التي تحيطهم، فكلما سمع شيئاً رسم له صورة في ذهنه. وهذه الطريقة تنمي عند الطفل حس الإبداع والخيال وتطوير ملكة الحس الإبداعي من خلال تركيب الصورة والمشاهد، ولذلك يلاحظ على الطفل عندما يسمع القصة أنه يسأل عن أشياء وعن تفاصيل لم يلتفت إليها القاص وهذا يثبت ما ذهبنا إليه، بل إن الحس الإبداعي عند الطفل قد ينشأ من نفس تركيبته فإن الطفل الصغير تراه ينشئ حوارات مع أعباءه وتراه يصور لنفسه قصة ويصدقها ويعيش مع أحداثها. ومن هنا قد يلاحظ بعض المربين أن الطفل الصغير يكذب أحياناً عندما يفعل خطأ؛ فقد يقول: "إن العصفورة هي التي كسرت الكأس مثلاً، وهذا ليس كذباً منه بل هو تخيل أن العصفورة جاءت وكسرت الكأس ثم ذهبت وصدق هو ذلك فيقول حسب تصورات. نعم عندما يدرس الأسلوب القصصي يلاحظ أن الطفل الصغير يحب القصص الخيالية، والطفل الذي تجاوز عمره العاشرة يحب القصص المغامراتية والمراهق يحب القصص العاطفية، والكبير يحب القصص الواقعية والتاريخية. وهذا يدل أيضاً على تركيبة العقل الذي يعتمد على الحس الإبداعي والخيالي الذي يرسم صورة للعالم الخارجي وللمستقبل. تثير القصة في نفوس الأطفال إحساسات جمالية وانفعالات عاطفية وتجعله أكثر تعاطفاً مع الآخرين. إن خيال الطفل في مختلف مراحل نموه خصب يساعده على التصور والتخيل، لذا يسهل على الطفل أن يحيا في جو الصور الخيالية التي توحى بها القصة. تلعب القصة في حياة الأطفال دوراً هاماً في تكوين شخصيتهم، إذ هي الفن الذي يتفق وميولهم وهي الفن الذي يتصلون به منذ أن يتفتح على العالم

إدراكهم، وهى الفن الذي يبنى خيالهم ويثبت مشاعر الخير والنبيل في نفوسهم ويربى قوة الخلق والإبداع عندهم.

القصص القرآنية ودورها في بناء شخصية الأطفال:

ليس القرآن كتاب قصص وحكايات، وإنما هو كتاب تربية وتوجيه وهداية، ولكن الدقة في الأداء والبراعة في الأسلوب وجعل استخدام القصص للتربية على إطلاقها جزءاً من منهج التربية الإسلامية. واستخدام القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم القصة في التربية وفي ترقيق القلوب وتنوير العقول، وفي أخذ العظة والعبرة من قصص الأقوام السابقة، ومن ثم استخدمتها الأمهات في التربية أيضاً، وفي تزويد أطفالهن بنماذج وقدوات لم يعاصروها بدءاً بالرسول صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا الحاضر.

تمثل القصة القرآنية ربع القرآن الكريم. والقصة لها تأثير فعال في نفوس الأطفال كما ذكرنا سابقاً، لأنها تستوي أذهان الناس وتفضل سماعهم وتترك أثراً واضحاً في نفوسهم. فقد استخدم القرآن الكريم القصة كوسيلة لغرس قيمه وأفكاره واتجاهاته. توجد في القرآن الكريم ثروة ضخمة من القصص والحكايات. وقد سلك القرآن الكريم أساليب متنوعة لتحقيق أهدافه. واتخذ وسائل مختلفة للوصول إلى غايته. نجد في قصص القرآن الكريم مادة ثرية للأطفال يمكن تروي لهم بصورة مبسطة، وكذلك في السيرة النبوية ومواقف الصحابة والخلفاء والرحالة المسلمين. ولو نظرنا نظرة متفسحة لقصص القرآن الكريم لوجدنا ما يحقق أهداف التربية الإسلامية بجوانبها الروحية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعلمية. تميز القصة القرآنية بثبوت الوقائع المسرودة كما تميز في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكفي الغايات التربوية المنشودة لتربية الأطفال. إذا كانت التربية تهدف إلى إكساب الطفل قيمة العفو والتسامح، فإن في موقف الرسول من أهل مكة يوم

الفتح مادي ثرية تصلح لغرس هذه القيمة في نفوس الأطفال. فإذا كانت التربية تهدف إلى تربية الطفل على حب العمل، فإن قصة سفينة نوح عليه السلام مادة تصلح قيمة العمل في نفوس الأطفال. وإذا كانت القصة إلى تربية الطفل على التفكير العلمي، فإن قصة إبراهيم عليه السلام ما يكسب الطفل هذه السمة البارزة. لقد استخدم القرآن الكريم القصة استخداماً واسعاً جداً في تثبيت القيم الإيمانية وترسيخها في النفوس، لذا عند ذكرها للطفل يراعى تبسيطها ليتمكن من إستيعابها وينشأ محباً للحق والعدل والخير ويحيا على التسامح والإحسان.^{xviii} أما القصة ودورها الريادي في تطوير القيم والسلوك فهو واضح من استخدام القرآن الكريم للقصص في سوره والذي سرد المواعظ والمثل العليا في التعامل الانساني من خلال قصص الأنبياء. ولقد تطور أسلوب تعلم القيم حديثاً وأصبح ينادى بتطبيقه من خلال المناهج المدرسة وأن يصبح من صلبها.^{xix}

نتيجة البحث:

إن للقصة دوراً ملموساً في تربية الأطفال من الناحية الاجتماعية والثقافية. القصة تزودهم بالحقائق المختلفة والمعلومات العامة عن المجتمع الذي يعيش فيه وعن العالم من حوله وإعدادهم ليعيش إيجابياً متكيفاً مع المجتمع مندمجاً فيه، وملتزمًا بأنماط سلوكية إسلامية تقوم على الحب والعدل والمساواة والخير للإنسانية كلها. وذلك بتفاعله مع أحداث القصة وتقمصه لشخصيات أبطالها وتعرفه إلى أنماط مختلفة من السلوك الاجتماعي المتضمن في القصة التي يستمع إليها أو يقرأها. فالقصة مصدر مهم من مصادر ثقافة الأطفال ووسيلة من وسائل إشباع حاجاتهم لأنها ترتبط بالطفل منذ سن مبكرة من حياته وتودي دوراً بارزاً في بناء شخصيته بما تحمله من أفكار ومعلومات وخيال وأسلوب. القصة هي من المركبات الأساسية في حياة الطفل إذ تعمل القصة على تصور جوانب الحياة وتعبر عن العواطف الإنسانية وتصف الطبيعة وتشرح الحياة الاجتماعية وتساعد على

الوصول إلى المثل العليا بما فيها من تأثيرات في أعماق النفوس كما تساعد على تكوين اتجاهات واضحة وقيم متعددة.

الهوامش:

- i ابن منظور: لسان العرب ، 7\74
- ii محمد حسن عبد الله: قصص الأطفال: أصولها الفنية وروادها، دار ابن حزم، بيروت، عام 1996م، ص، 09
- iii أبو معال، عبد الفتاح، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، عمان، دار الشروق، 2005، (ط1)، ص33.
- iv الجقندي، عبد السلام عبدالله، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، لبنان، دار قتيبة، 2003، ص18-22
- v محمد، نجلاء السيد عبد الحكيم، أثر شخصيات القصة في تنمية بعض القيم الأخلاقية لدى طفل الروضة من خلال برنامج قصصي مقترح، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية التربية، قسم رياض الأطفال، 2001.
- vi علي، أماني عبد الفتاح، والخريبي، هالة فاروق، المدخل إلى رياض الأطفال، الزقازيق، مكتب الطيب، 2004، ص10.
- vii بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، بيروت، مؤسسة الرسالة عام 1996، ص212
- viii حلاوة، محمد السيد، الأدب القصصي للطفل، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، عام 2003، ص40
- ix سين، كمال الدين: فنية رواية القصة وقراءتها للأطفال، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، عام 2004م ص246
- x الربيع، محمد عبد الرحيم. وزلط، أحمد علي، أدب الطفل وثقافته وبحوثه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.م، مطابع الجامعة، عام 1988م ، ص153
- xi الشيخ، محمد عبد الرؤوف، أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي" دبي، دار العلم، عام 1997م ، ص 116
- xii وادي، طه، دراسات في النقد الرواية، ص39
- xiii باكتير، على أحمد، فن المسرحيه من خلال تجاربي الشخصية، ص69
- xiv عبود شراد، شلتاغ، المدخل إلى النقد الادبي الحديث، ص179
- xv الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، (ط3)، ص70
- xvi سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، الرياض، دار المعارج، 1993، (ط1)، ص 95
- xvii أحمد، سمير عبد الوهاب، قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية، عمان، دار المسيرة، 2004، (ط1)، ص 68.
- xviii ، عثمان قدرى، أساليب التربية في القرآن الكريم، بيروت، دار ابن حزم، 2002، (ط1)، ص362
- xix الظهار، نجاح أحمد عبد الكريم، أدب الطفل من منظور إسلامي، جدة، دار المحمدي، 2003، (ط1)، ص55